حصاد العيد

أربعة أيام مع شاعر العرب
عبد المحسن الكاظمي

تأليف
عبد القدوس الأنصاري



حصاد العيد

الإهداء

إلى شداة الأدب الرفيع، والشعر العربي المشرق ..
وإلى هواتهما .. اقدم هذه الدراسة المتواضعة ..

المؤلف

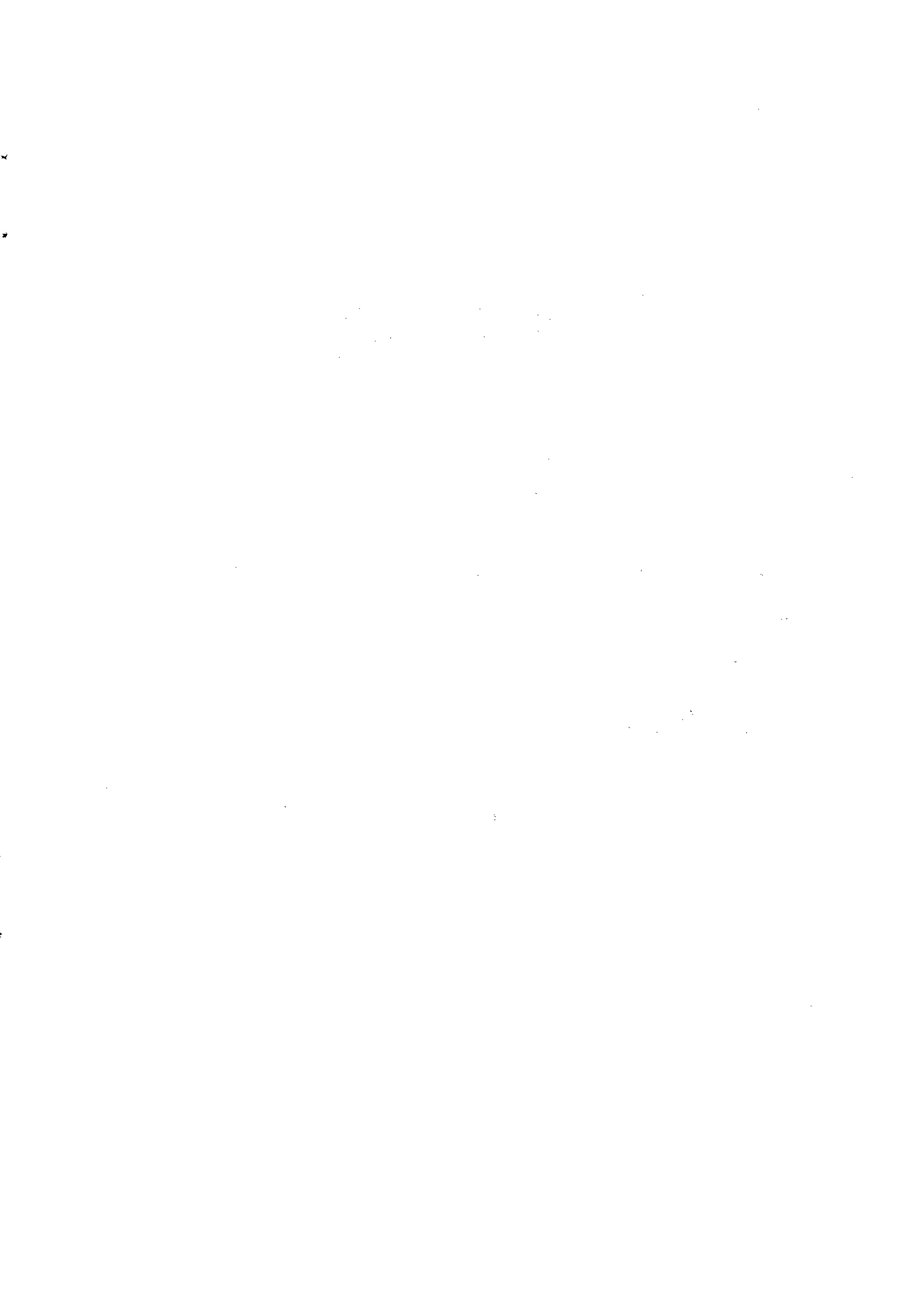
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

هذه دراسة عابرة .. لا أقول إنها كاملة وشاملة لكل نواحي شاعرية شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ، ولا لحياته ولكني أقول : إنها تعطي ملامح عن شاعريته وعن حياته ، وبيئته التي عاش فيها .

عبد القدوس الأنصاري

جدّة في ٤ شوال ١٣٨٨ هـ
الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٦٨ م



أحييتَ ذكرى الشاعر الكاظميّ

اطلع الاستاذ الاديب الكبير محمد سعيد العامودي على هذا الكتاب ، فبعث مشكوراً الى مؤلفه بالقصيدة الرائعة التالية :

أحْيَيْتَ ذكرى الشاعرالكاظمي بروعة البحاثة العالمِ
أحْيَيتَ ذكراه وأنصفتَهُ إنصاف حق ليس بالآثِمِ
الشاعر المنسيُّ أخنى عليه الغدرُ ، يا للغدر من جارمِ
قد عاش مظلوماً وما كان هذا الشاعر المظلوم بالظالمِ

* * *

ولم يكن ذنب له .. غير أنْ نَدَّد بالمستعمر الحاكمِ
أبو « رَبابٍ » كان يدعو إلى التحرير من سلطانه الغاشمِ

* * *

وكم دعا وكم تغنّى بما للعرب من ماضٍ لهم باسمِ
وكم دعا الشُّبّان أن يقتفوا آثارهم بالعمل الحازمِ
« سيروا فرادى أو ثُنى »:صرخة أطلقها في شرقنا النّائمِ

* * *

يا « شاعر الزوراء » ما كنت بالـ محظوظ في دنياك والغانمِ
فحسبك الخلدُ نصيباً .. وما أحلى المنى للشاعر الحالمِ
أن يملأ الدنيا ، وان يَشغَل النا س بما أبدعه للناس من عالمِ

* * *

يا شُعراء العصر ! هذا هو الشاعر « عبد المحسن الكاظمي »
من حقه ، والحقُّ أدناه أن نَقْرِنَهُ من غير ما لائمِ
بأصفياءِ الشعر في عهده الماضي ، وفي حاضره القائمِ
بابنِ أبي سُلمى ، وبالحارث والـ بكريّ ، والأعشى ، وبالدارمي
وبأمير الشعر في عصره و« حافظِ ابراهيم » و« الجارمي »

* * *

يا شعراء العصر هذا هو الشاعر « عبد المحسن الكاظمي »

(مكة المكرمة) **محمد سعيد العامودي**

تجديدُ عهدٍ قديم

عرفت من طريق الاطلاع والمطالعة ، شاعر العرب ، عبد المحسن الكاظمي ، وأنا في ميعة الصبا ، أيام بداية هوايتي للأدب ، أثناء الدراسة ، وتذوقتُ شعره ، وأعجبتني سهولةُ بيانه ، ورقةُ معانيه ، وغزارتها . وربما كنت حفظت من شعره بعض أبيات ، ثم تَنَاءيْتُ عنه رُويداً رُويداً ، وقد خبا ذكره في كتب الأدب والشعر ، وطغى عليه العملاقان الآخران : شوقي وحافظ بسبب طغيان الدعاوة الصحفية الكبيرة المدوية لهما ، دونه ، وكنت اقتنيت ديوانيهما ، ولم يتسن لي ذلك مع الكاظمي . وفي الليلة السابقة لليلة عيد الفطر المبارك لعامنا الحالي : ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م هيّىء لي أن أقتني نسخة من ديوانه الثاني : (مجموعة أشعاره الثانية) التي جمعها ورتبها ونشرها وحققها (حكمة الجادرجي) قنصل المملكة العراقية ، بالأسكندرية ، سنة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م ، فقد اشتريتُ هذه المجموعة المجلدة من مكتبة متواضعة في (سُوقِ النـَّدَى) بِجُدَّة ، وكانت مُغْبَرّة الورق والإهاب ، فنفضتُ عنها الغبار ، ونظفتها . فراقتني .. وأزمعتُ من ذلك الوقت أن أجعل هذه المجموعة (جليسي) و (أنيسي) طيلة أيام عيد الفطر الأربعة . ولكني لم اكتف بهذا الديوان ، فتريثت في نشر هذه الدراسة

حتى تسنى لي أن اطلع على أغلب أشعاره .. ومنها قصيدته التي قرظ بها ديوان حافـــظ ابراهيم ، ونشرت في تقاريظ ديوان حافظ ابراهيم ، في طبعته الاولى سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م . وقد أفضل بهذه النسخة عليّ ، الصديق الاستاذ الاديب هاشم دفتردار المدني كما تسنى لي ان أطلع على مقال لابنة الكاظمي الدكتورة (رباب) عن والدها في مجلة الكتاب أطلعني عليها الاستاذ الصديق محمد سعيد العامودي ، فأفدت منها ما نقلته وما استنتجته ، واخيراً في رحلتي الى لبنان وسورية ذهبت الى المكتبة الظاهرية فاطلعت على مجموعة ديوان الكاظمي الاولى ، وأضفت دراسته الى موضوعات الكتاب . كما اطلعني الشيخ هاشم دفتردار على مجموعة صغيرة من قصائد الشاعر الكاظمي طبعت بمصر سنة ١٩١٩ م فأفدت منها ايضاً .. وهكذا برزت هـــذه الدراسة تحوي سمات سائر المراجع المذكورة آنفا .

شاعرُ العرَب

(شاعر العرب) لقب من الألقـــاب الحديثة التي كانت تطلقها الصحافة العربية أيام ازدهارها وازدهار الأدب في بلاد العرب – ما بين أوائل القرن الهجريّ الرابع عشر – الى عام ١٣٥٢ منه – تطلقها على المتفوقين ، وتمنحها لهم كرمز تقدير منها وتركيز لما تفوق فيه الأديبُ أو شُهِرَ به الشاعرُ وسارت بذكره فيه الركبان ..

وقد أطلقت الصَّحَافَةُ لقب (أمير الشعراء) على « أحمد شوقي » فسار اللقب وشرق وغرب . وأطلقت الصحافة لقب (شاعر النيل) على « حافظ ابراهيم »[1] ، فسار الى كل مكان . وأطلقت لَقَبَ (شاعر القطرين) على خليل مطران ..

فسار مسير الشمس في كل بلدة — وهب هبوب الريح في البر والبحر

وأطلقت لقب (شاعر العراق) على « الزهاويّ » ، فعُرِفَ به ، وأطلقتْ لَقَبَ (الأخطل الصغير) على بشارة الخوريّ ، فشاع وذاع ..

وأطلقت لقب (شاعر العرب) على اثنين من فحول شعراء العرب

---

(١) في المحاضرة المطبوعة بمطابع دار قريش بمكة سنة ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩ م بعنوان : « الاسماء والتواقيع المستعارة في الأدب العربي » للدكتور محسن جمال الدين ممى (ان الذي لقب حافظ ابراهيم بشاعر النيل هو الوطني السياسي الشيخ علي يوسف صاحب « المؤيد » وكانت بينه وبين الخديوي وشوقي وجماعته خصومة) راجع ص ٢٥ .

أحدهما : (عبد المحسن الكاظمي) وثانيهما : (فؤاد الخطيب) .
فانتشر صيت اللقبين في كل مـــكان ، لكل واحد من الشاعرين على السواء .. ولم تـرَ الصحافةُ في هذه الثنائيةِ ما يقال ..

وهناك شعراء مبرزون آخرون في أنحاء العالم العربيّ ، ربما تفوّق بعضهم على من في مصر من الشعراء ، ولكنهم ظلوا بدون ألقـــاب سيارة ، لأن صحافة مصر لم تجُدْ عليهم بهذه الألقاب ؛ ولانّ صوت بلادهم منخفض ، فلم يصل بهم إلى المدى البعيد .

والصحافة المصرية هي التي أطلقت لقب (الاستاذ الإمام) على « محمد عبده » و (حكيم الشرق) على « جمـال الدين الأفغاني » و (وأستاذ الجيل) عـلى « لطفي السيد » و (عميد الأدب العربي) على « طه حسين » و (كاتب الشرق الأكبر وأمير البيان) على «شكيب ارسلان» . وهي إطلاقات أغلبها في محلها.

لقد كانت الصحافة حُرّةً طليقة في هذا الميدان ، تمنح الألقاب لمن تشاء ، ولا معقب لها في ذلك .. ومن ذا الذي يستطيع أن يعقب عليها وهي التي وصفها شوقي بقوله :

لكل زمان مضى آيـة   وآية هذا الزمان الصحف

وفي مملكتنا العربية السعودية هل ترنو صحافتنـــا المتطورة إلى ان تتلقف هذا (الصولجان الذهبيّ) بعد ما فترت الحرارة الأدبية لصحافة مصر في خضم الحوادث السياسية ؟ أغلب الظن أنّ صحافتنا لم تتطلّعْ بعدُ أو لم تطلّعْ بعدُ إلى هذا المستوى ، لأنه يحتاج الى صحافة أدبية قوية ، مجلجلة آسرة تستهوي القراء ، وتأسر ألبابهـم ، وتستولي على مشاعرهم ، كما كانت عليه صحافة مصر أيام كانت « الأهرام » وغير الأهرام تعنَى بالجانب الأدبي عناية بالغة ، فكانت إذا كتب فيها كاتب مشهور

لديها « مقالاً افتتاحياً » فيها ، أو نظم قصيدة رائعة ، ونشرتهـا ، دَوّى باعة الصحف في الشوارع العامة باسمه كإعلان قويّ عن أهمية عدد ذلك اليوم ، فما هي الا لحظات وإذا بالعـدد ، تتخطفه آلاف الأيدي في الشوارع ، وإذا به ينفد ، وهل من مزيد ؟ ومع ذلك فإن صحافتنا الحديثة كانت قد مارست شيئاً من هـذه (الصلاحية) ومنحتها لنفسها .. فأذكر أن لقب (حسّان جلالة الملك) قد سار في كل مـكان للشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوي كشاعر مميز خاص لجلالته ، ولقب (شاعر المدينة) الذي أطلقته جريدة المدينة المنورة على السيد « عبيد مدني » قد سار هو الآخر ، وعرف به هذا الأديب القدير في شعره ونثره . ولقب (شاعر الجنوب) الذي اطلقته مجلة المنهل على الشاعر « السيد [1] محمد بن علي السنوسي ». ولقب (الشاعر القدير ومؤرخ الجنوب) المطلق منها على الشاعر والمؤرخ القدير للجنوب الأستاذ محمد أحمد بن عيسى العقيليّ . و (قصّاص الجنوب) للأستاذ محمـد زارع عقيل و (البحاثة الكبير) الذي أطلقته مجلة المنهل أيضاً على الأستاذ الشاعر الكبير أحمد بن ابراهـيم الغزاوي بمناسبة شمول (شَذَراته) واتساع أركانها وتنوع موضوعاتها وطرافتها واطرادها . ولقب (الأستاذ المربي) الذي أطلقته على الأستاذ عـثمان الصالح بمناسبة تربيته علميًّا وأدبياً لجيل وجيل ، ممثلة هذه التربية العلمية في إدارته لدفة معهد العاصمة النموذجي بالرياض قرابة ثلث قرن إدارة علمية وخلقية ناجحة وحازمة ، ثم بمناسبة كتاباته الهادفة في الصحافة السعودية مؤخراً .

---

(١) السيد هنا بمعنى « شريف النسب » وليس معناه ما اصطلحت عليـه بعض الأقطار العربية مؤخراً مما لا يتفق حقيقة مع الوضع اللغوي لكلمة السيد الذي هـو « الرئيس » و « النابه » فقد صارت تطلق على كل انسان أياً كان ..

إن هذه الألقاب هي في حقيقة امرها (أَقْبَاسٌ) تضيء جوانب التخصص والاتجـــاه في شعر الشاعر الملقب بها ، وفي نثر الكاتب الملقب بها .

وأعتقد أن الصحافة الهادفة الرصينة لها الحق في ممارسة هذه الصلاحية إذا أحسنت صنعاً ، وبلغت المستوى الذي يؤهلها لهذه الممارسة .. وليس من ريب في أن الأدب يرتفع ويحلق ويشتهر وينتشر على أجنحة الصحافة الراشدة القوية ، فصحافتنا إذن مدعوة إلى أن تَقْوَى ، وإلى أن تسعى ، إذا قويت إلى رفع أسماء أُدبائنا ومؤرخينا وشعرائنا اللامعين ، عالية في سماء الشهرة وذيوع الصيت لا في العالم العربيّ والإسلامي وحده ، وإنما في كل العالم . فهي وحدها القديرة على ذلك إذا تأهلت لهذا المنصب الرفيع ، وإذا شغلته بكفاءة ومرونة ، وإذا تمكنت من الاستيلاء على عواطف الجمهور ، استيلاءً سداه ولحمته المتانة والقوة والجودة والجاذبية الصحيحة النافعة الهادفة .

وقد أفاد شعراءُ مصر وكتابُها ، من هذه الظاهرة ، فكان من صحافتها منبر دَعاوَةٍ مدويةٍ لكتّابها وشعرائها ، ولم تكن مطلقاً عامل هدم لكيانهم أو محاولةً للغض من شأنهم .

إن مهمة رفع شأن الأدب ، مهمة عظيمة وأساسية للصحافة أية كانت ، وأين كانت . وهي مهمة مزدوجة في نفس الوقت تتفاعل مع الصحافة إيجابياً وسلبياً .. فاذا رفعت الصحيفة شأن أديب أو شاعر حتى ارتفع شأنه ولمع نجمه ، وسطع شعره أو نثره في الآفاق ، فانها بذلك تكون قد أدت خدمة جليلة للأدب في شخص ذلك الأديب أو الشاعر مثلاً ، وهي في نفس الوقت تفيد من ارتفاع شأنه وذيوع صيته فائدة

أدبية وربما مادية لنفسها ، فانه إذا نظم قصيدة رائعـــة ونشرت في عدد من أعدادها ، أو كتب مقالة وأعلنت عنها وعلم قراؤها بذلك فإن العدد سرعان ما ينفد من الأسواق ، وسرعان ما يتلقفه القراء باحتفاء كبير ، وبِـنَـهَـمٍ عميق ، استجابة لمشاعرهم وعواطفهم المُـقَـدِّرَةِ لشعر هذا الشاعر ، ونثر هذا الناثر ، والمأسُورَةِ بجاذبية انتاجها الرفيع الذي يُغَــذِّي أذواقهم وافكارهم ويُشبع عواطفهم ، ويُدخل اليهم النشوة الفكرية التي ما بعدها وما مثلها من نشوة .

وقد رأينا لبنان ، وسورية ، والعراق ، وتونس ، والمغرب ، والجزائر ، وليبيـــا ، والبحرين ، والكويت ، وقطر – رأيناهـــا مهتمة بصفة مستديمة ، برفع أعلام صيت أدبائها .. تقوم لهم بالدعاوة الجذابة الحسنة وتنشر لهم في حفاوة وتنشر عنهم في احتفاء .

مقدمتان للديوان

حظيَ (ديوانُ الكاظمي الثاني) بمقدمتين موجزتين . مركزتين .. إحداهما بقلم رفائيل بطي ، وهو كاتب معروف في العراق ، والثانية بقلم عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلميّ العربيّ بدمشق .. وقد حلّلَت المقدمتان شخصيةَ هذا الشاعر الكبير ، واستعرضتا شريط حياته ، وقدمتا شعره وحياته للقراء تقديماً مناسباً .

كما كتبت ابنته الأثيرة لديه الدكتورة (رباب) كلمةَ إهداء الديوان : (إلى روح أبيها وإلى الأمة العربية) وسألت الله تعالى : (أن يوفقها إلى جمع وإظهار ما يتبقى من تغاريد أبيها العذبة) وهذا يشير إلى ان من شعر أبيها ما لم يُجْمَعْ وما لم يُنْشَرْ بَعْدُ ، برغم صدور ثلاثة دواوين من إنتاجه : المجموعة الأولى المنشورة بدمشق مِنْ قَبْلُ ، وهذه المجموعة الثانية ، وقبلها كانت المجموعة المسماة بالملّقات التي أصدرها الأستاذ خير الدين الزركلي [1] ..

أما ديوان الكاظمي الأول فقد حظي بمقدمة جامعة لأشتات فضائل شاعريته ، كتبها عملاق الادب العربي غير مدافَع (عباس محمود العقاد) .

(١) هذا وقد نشرت ابنته الدكتورة رباب أنها مزمعة طبع ديوان جمعته له ، لم ينشر من قبل وذلك في مقالها المنشور بمجلة الكتاب البغدادية لسنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

وقد وصفه بما وصفه مُقدِّمُ ديوانه الثاني – من سرعة البديهة في الشعر وانسجام الفكرة وانسجام الشاعرية وجزالة الشعر .. قال العقاد : (اما شاعرنا الكاظمي رحمه الله فقد كان من العربية في بيته وبين أهله وذوات قرباه ، لا تكلُّف ، ولا مبالغة ، ولكن لا اهمال مع ذلك ولا اعراض » . وأضاف قوله : « لم احضره وهو ينظم على البديهة ، ولكن حدثني بعض من حضروه فقال : انه كان رحمه الله ينظم كمن يتحدث على مهل ، ويملي فيكاد في بعض أملائه يسبق من يكتب . ويستعيد الأبيات حيناً بعد حين ، ولكنه كان يستعيدها ليربط ما بينها . وقلما كان يستعيدها لتبديل او تنقيح »[٢] .

ويبدو جلياً من « النص » المذكور آنفاً ان العقاد كتب هذه المقدمة لديوان الكاظمي بعدما دلف الكاظمي الى ربه ، حيث قد انقطع حبل المنافسة وانصرمت عروة المعاصرة التي تُذهب المناصرة كما يقولون ، فجاء قول العقاد ورأيه في شاعرية الكاظمي مصفّى من الشوائب خِلْواً من الأكدار والغبار ..

وقد احسن العقاد تحليل نفسية الكاظمي وشاعريته في ايجاز مركز حينما قال في المقدمة ذاتها : (وقد عاش الكاظمي ، على فطرة البداوة ، طوال حياته ، وهو في صميم الحضر من مصر الجديدة) .. ولكنها البداوة الفطرية الواعية السليمة من وضر الحضارة التي يقول عنها المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية　　وفي البداوة حُسن غير مجلوب

---

(٢) مقدمته للمجموعة الأولى من ديوان الكاظمي المطبوعة بمطبعة ابن زيدون ، والتي نشرها مع المجموعة الثانية بتعليقات وتحقيقات جمة ، حكمت الجادرجي .. وقد وجدتها في المكتبة الظاهرية حينما زرت دمشق في اواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٣٨٩ هـ – تموز ١٩٦٩ م .

شاعر العراق

لَقَّب رفائيلُ بطي ، عَبْدَ المحسنِ الكاظميَّ بلقب (شاعر العراق) وذلك في مقدمته لديوانه ، وهكذا رأينا لقباً جديداً للكاظمي ، وهو وان يكن أضيق نطاقاً بالنسبة للقب (شاعر العرب) فإن الذي يبدو لي أن رفائيل بطي وهو عراقي كالشاعر ، أراد أن يعيد شعر الطائر العراقي الغريد النافر عن وكره ، القاصي عنه في مهجره — الى ذلك الوكر الأول حتى لا يفوت العراقَ شرَفُ انتماء الشاعر إليه .. وحتى يُعْرَفَ للعراق رسيسُ هذا الشرف ، وأصلُهُ ومنبعهُ ..

وقد قَدَّمَ رفائيلُ بطي لنا ، شاعِرَ العراق الكاظميّ ، فعَرَّفَنا ببعض سلسلة نسبه فهو : (أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النخعي) . هذا نسبه العربي من جهة أبيه . أما من جهة أمه فهو (يوصل نسبه إلى الإمام موسى الكاظم) . وقد وُلِدَ بِحَيِّ الدهانة في بغداد سنة ١٨٦٥ م ونشأ بالكاظمية من أعمال الزَّوْرَاء ، ولهذا سُمِّيَ (بالكاظمي) . على عادة العرب في النسب إلى المكان الذي نشأ به الشخص المترَجم له ، ولو لم يكن مولده فيه .

وقد هويَ الشِّعْرَ صغيراً ، ولم تصرفه عن منهله العذب ، إغراءات والده له بأن يمتهن التجارة . فقرْزَمَ الشِّعْرَ وهو في السادسة عشرة من عمره .. كما يقول رفائيل بطي . وكانت حافظته قوية . حفظ أكثر من (١٢٠٠٠) بيت من مختار القصيد . فبرز ، رَاوِيةً يُشار إليه بالبنان . وصار سليقةً له محاكاةُ الفحول من الشعراء القدامى الذين حفظ أشعارهم . وفي العشرين ربيعاً احتل في ديوان الأدب مكاناً ملحوظاً[١] . واتفق أن قَدِمَ السيد جمال الدين الأفغانيُّ إلى بغداد ، منفياً من إيران ، فتعرف الشاعر الفتى به ، وأخذ عنه طرفاً من العلوم ، وأخذ عنه توجيهاً في التفكير أيضاً ، واعتنق مبادئه ، والتزم بها . وقد أُخْرِجَ الافغانيُّ من العراق ، ونال الكاظميَّ رشاشٌ ، من النقمة ، بسبب موقفه من الحكومة ، فهاجر إلى مصر ، وأقام فيها طيلة حياته[٢].

وحينما قدم الكاظميُّ إلى مصر كان من الطَّبعِيّ أن ينجذب إلى الشيخ محمد عبده زميله في التلمذة على السيد (جمال الدين الأفغانيّ) وقد لاقى منه الترحيب الحارَّ ، وتجاوب معه التَّجاوُبَ البارَّ ، وكان ما ينفحه به هذا الشيخ من راتب شهريّ يبلغ عشرة جنيهات مصدراً مهماً من مصادر معيشته ، وقد سد خُلَّته في القاهرة . فلما مات محمد عبده انقطع عنه هذا المورد الثابت ، وقد حاول نَيْلَ عوضٍ عنه من الخديوي عباس بشتى المحاولات فباءت جهوده بالاخفاق ، ثم مرض ومات ،

---

(١) مقدمة رفائيل بطي .

(٢) نفس المصدر ، وقد شرح لابنته الدكتورة رباب ما أصابه ، وقال : انه أطلق عليه الرصاص فاصاب رئته ومرض لذلك الى آخر عمره ، . وقد نشر املاؤه لها بهذا في مقال لها نشر بمجلة الكتاب البغدادية في عددها الصادر في سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م بعنوان (والدي الكاظمي) .

متأثراً ، من بؤسه المادي مع ثراء تراثه الفكري .. مات شاعر العرب في مصر الجديدة من ضواحي القاهرة في اليوم الأول من شهر مايو ١٩٣٥ م ودفن فيها ، وترك ابنة هي كاتبة إهداء ديوانه الى روحه والى الامة العربية .

وقد وصفه مُواطِنُهُ رفائيل بطي بأنه « ربعة في الرجال ، ممتلىء الجسم ، مدوَّر الوجه ، أبيض الأديم ، يتحدث باللغة العربية الفصحى ، ويبين بذلاقةٍ ، وينطلق في الحديث فيخلب لبّ سامعه »[٣] .

« وهو أبيٌّ النَّفْسِ ، جسور ، ذكيّ ، حاد الذكاء ، وله مزيتان سبق غيرَه فيها وهما : طول النَّفَسِ في الشعر ، والارتجال القويُّ على البداهة إلى حد المئات من الأبيات القوية المنسجمة » ..

---

(٣) نشرت مجلة الكتاب البغدادية الدورية في عددها الصادر بسنة ١٣٧٨ هـ — ١٩٦٩ م حديثاً أملاه المترجم له في أواخر حياته بمصر على ابنته الدكتورة رباب ، ضمن مقال لهـا تحت عنوان : (والدي الكاظمي) اشتمل على كامل ترجمته .. وقد ذكر لها فيه : (أنه ولد في حي الدهانة ببغداد ، لا بالكاظمية في يوم ممطر في اذار سنة ١٢٨٩ هـ. وفي سن الرابعة حفظ القرآن الكريم . ثم تعلم اللغة الفارسية ، وفي سن ١٢ انطلق الى موائد الأدب والعلم في الكاظمية ، وحفظ ما ينيف على عشرة آلاف بيت من الشعر وقرض الشعر مبكراً . وكان له إخوة أربعة واخوات خمس . وعندما قدم السيد جمال الدين الافغاني الى بغداد تتلمذ له وبشر بمبادئه فأطلق عليه بعض رجال الحكومة العثمانية الرصاص فأصاب رئته. ولما تماثل للشفاء نصحه خاله بالخروج من البلد فغادره الى البصرة فايران فالهند بدعوة من السيد محمد المازندراني صديقه الذي كرمه وهيأ له الطواف بولايات الهند مكرماً ، وهذا يفسر تقديره له في شعره وفي طريقه الى مصر . وبالسويس ظهرت أعراض مرض الطاعون الدملي على الكاظمي فنزل عند الشيخ محمد عبده ، ثم عند محمود التونسي الذي زوجه بعد شفائه بنته أم رباب ، وقد نصحه صديقه الدكتور الاديب محمد لبيب ، باجراء عملية جراحية لاستئصال الطحال والكلية اليمنى ففعل ، وبقيت له رئته اليمنى وحدها ، ثم اشتغل مدرساً للادب العربي في مصر ، لينال لقمة العيش ، وحـاول مزاولة التجارة مـع الدكتور عبدالرحمن الشهبندر والأستاذ اليافي فنجحت التجارة لولا استعادة الدكتور نقوده مما أوقعه في خسارة مالية كبيرة .

« ويمتاز بروعة الديباجة وقوة الأسلوب وبالجزالة ، وصدق اللهجة » . وأضيفُ إلى ذلك ميزة السهولة مع الامتناع وانقياد القوافي له ، مما ينهض أبلغَ ردٍّ على باعة ما يدعونه بالشعر المنثور . وأكثر نظمه من وَحْي الساعة . وقد أجاد رفائيل بطي حينما قال عنه : إنه (مشى على غرار قدماء الشعراء الذين اكتنزت حافظته بروائعهم ، فاحتذاهم في الطراز ولم يقلدهم في المعاني » .

هـذا واننا نستطيع ان نستخلص من دراستنا لشاعرية الكاظمي ولأشعاره ، ومن غربلتها ، أنّ شعر الكاظمي ، ينقسم الى شطرين :

احدهما « الشعر الشخصي » سواء أكان غزليّاً ام وصفيّاً ، ام شكوى ام مدحاً ام فخراً ام هجاءً .

ونستطيع أن نجمع في هذا الأطار ، سائر قصائده التي نظمها لأهداف شخصية من ذكريات أو عتاب أو عواطف جياشة أو حِكَم .

وثاني الشطرين « شعر عام » وهو ما يتعلق بالوطنيات والسياسة والشؤون العامة ..

ومن القسم الأول قصيدته الغزلية الرنانة التي منها قوله :

لي بالحمى رَبَارِبٌ مثل المها   بيض عَوَاطِ عُرُبٌ عواطل

* * *

وقصيدته التي منها قوله :

ومن عجبٍ تنتمي لي البحار   وأرْضَى من الماء بالجدولِ

وأصبر فيه على حالة   على مثلها الصبر لم يُحْمَلِ

وفي ختام هذه القصيدة يقول :

ويا رُبَّ أغزل فيما تراه وما هو اذ ذاك بالأعزل

ومن منظومات صباه التي تتجلى فيها حاسة الفطرة الشعرية البدوية قصيدته التي مطلعها :

عِمي صباحاً ايهـا المنازل وردّدي لَحْنَكِ يا عنادلُ
طرزت الأزهار روض َضارجٍ وجَلَّلت وجه الرُّبى الخمائلُ
وازدهت البطاح والبِشرُ على مسقط رضراض البطاح سائلُ

وجدير بالذكر أن هذه القصيدة هي التي افتتح بها ديوانه الأول .

ومن القسم الأول فخرياته التي عقدنا لها فصلاً خاصاً . ولا بأس بأن نورد هنا للاستشهاد والتمثيل بيتين من هذا القبيل من قصيدة له هما :

عاتبتُ لو أجدى العتاب وخطبت لو نفع الخطاب
بقوارع الـكلم الـتي ذلّت لمنشئهـا الركاب

ومن هذا النوع الخاص شيء كثير في « مجموعة ديوانه الأول » .. وذلك مثل قصيدته التي عنوانها : (رب مال نما فكان وبالا) ..

وفيها يقول :

انمـا يُحمد الـثراء لقوم يحسنون العلوم والأعمـالا
اطلب العلم ان طلبت المعالي فالمعـالي بغيره لن تنـالا

ومثـل قصيدته الاخرى : (الدالية) (التي ارسلها الى صديق له جواباً على كتاب ورد منه) وعنوانها : (الآن طاب الشدو والتغريد) .

وقصيدة اخرى عنوانها : (وافتك ترفل في رقاقِ برود) وكان قد أرسلها الى صديق له بالعراق يَشْغلُ منصب الإفتاء ، وهي طويلة استهلها على دأب قدامى شعراء العرب وكأغلب ما اعتاده هو ، بالغزل ، وتخلص

منه الى مدح صديقه المفتي الذي يظهر من متن القصيدة أن اسمه هو (أمين) :

فلتهنأ الثقلان ان (أمينها) أضحى على الأيام خير عميد

ومن رأيي ان هذه القصيدة وأضرابها لم تصل الى المستوى الذي وصل اليه شعر الشاعر في القوة حينما أمعن في « ارتقاء سلم التطور الشعري حتى القمة » فيما بعد ..

والشطر الثاني من شعره وهو الشعر الذي خرج من قوقعة « الاغراض الخاصة » الى ميادين « الشمول » سواء أكان وطنياً أم سياسياً ام اجتماعياً إن هذا الشعر يمثل تطور ذهنه الشعري خير تمثيل .. ونعتقد ان مصدر هذا التطور وسببه يتمثلان في مقامه بمصر وامتزاجه بعملية القوم فيها ، وإطلالته من كوّة لسّاحيته على اهداف الشعر الحديث وتنسمه رياحه واستنشاقه أريجَه .. وأول ما ولج هذا الباب كان بقصيدته (العينية) الكبرى التي حيا بها « مصر » حينما دخل اليها مهاجراً من وطنه الأول ، مزمعاً اتخاذها وطنه الثاني الى آخر الشوط . وقد بلغت أبيات هذه القصيدة الفارعة الرائعة (١١٩) بيتاً ، وتوجد كاملة في مجموعة ديوانه الأول ، ومطلعها :

الى كم تجيل الطرْف والدار بلقع أما شغلت عينيك بالجزع أدمع

وقد اختتمها بقوله :

فبشرى لنا ، والبشر للدار بعدنا إذا ما بها قام العماد المرفّع

لقد ضمّنَ هذه القصيدة أمانيه واحلامه جهيرة مدوية . وهو مع انفعاله بظاهرة « التجدد الشعري » في اهداف الشعر بهذه القصيدة فانه قد

تمكّن أن « يُقَوْلِبَ » أهدافه الحديثة في بِزَّةِ شعره العربي المحض .
وتلك هي المزية التي عَرَّفَ النقاد شعر الكاظمي بها دون سواه
من معاصريه .

وقد تسنم الكاظمي – تدريجياً – وعلى مهل او عجل « منصة
التطور الشعري » ، واقتحمها بكلّيته دون سابق انذار فأذهل بذلك شعراء
عصره ونقاده ، ولعل هذا التطور الحثيث الذي يدفعه الى العلا والأمام
« مُحرِّك » فكري ذو مِرَّةٍ ، هو الذي او هو مما ألّب عليه منافسيه
في هذا الميدان ، فجعلهم خصوماً له ، بدون هوادة .. والمرء محسود
على أدبه وتقدمه على أقرانه في بيانه . خاصة إذا أصبح « نابغة »
ومتفوقاً عليهم .

ويظهر لي ان من اوائل مظاهر هذا التطور في شعر الكاظمي ،
قصيدته (الميمية) ذات عنوان : (حرب الحياة الباقية) التي جاءت في
اوائل ديوانه الأول :

حماة العلى قد آن حصد الجماجم   اقيموا العلا واستأصلوا كل هادم
وما انتمو للمجد ان لم تشيدوا   قواعده فوق الأنوف الرواغم

لكأنه في هذين البيتين الرائعين تقمص روح المتنبي في قصائده الحماسية
المدوية .. ويمضي فيقول :

ارى دول البلقان طالت أنوفها   على دولة آثارها في المخاطم
حماةَ حمى الاسلام إن خصومكم   خصومُ جميع المسلمين الأكارم

ويبدو لي ان صيغة (الاكارم) التي وردت في آخر البيت السابق لم

تكن بمستوى قوة البيت .. هي (تكملة للقافية أو ضرورة شعرية) ولو قـــال : (الاعاظم) لكان أجدر بالقول لمناسبة حماية حمى الاسلام ، ووجود خصوم له ..

ونلمس « المظاهر » البارزة لتطوره الشعري في بقية قصائد ديوانه الأول والثاني ، ومن بينها قصيدته التي يقول فيها :

الى العُرب الكرام بكل ارض أمُدُّ يدي وأُطلق من لساني

وقصيدته الاخرى التي يقول فيها :

أصيخوا أيهـــا العرَب الى داعي الهـــدى وثبوا

ويمضي به حادي التطور حتى يشارف على الذروة حين يقول :

قال الأعادي سوف ننصفكم كذبوا فكم وعدوا وكم مطلوا

هذا ويصح لنا ان نسمي هذا (التطور) – « انفتاحاً ملهماً » . ان الكاظمي يمضي في هذا الانفتاح الشعري والفكري في طريق سهل معبد ذَلول حتى يصل به المطاف الى ان يقول مخاطباً العرب :

أيها القوم ثابروا لا تُـهلنّكُمْ عدة هوّلوا بهـــا او عديـــد
أتروض الصّعابَ الا صِعَابٌ ؟ ام يفلُّ الحديدَ إلا الحديـــد
بادروا الأمر واجهدوا فلكَم ذلَّلَ صعبَ الأمور جهدٌ جهيـــد

ويكرر هذا المعنى في قصيدة أخرى فيقول :

وطن العرب لا ترُعك الليالي لك عند الأيام كل الأمـــاني

ويؤكد المعنى في (لامية) عصماء مطلعها :

تمضي الحياة وينقضي الأجل والخلق والاطماع يقتتل

وها هوذا يخاطب العرب فيها باللهجة نفسها :

يا أيها العرَب الكرام ثقوا　　أنتم لُبابُ الناس إن نُخِلوا
تستعذب الأرطان قولكم　　ما عنكِ يا أوطاننا بدل

انه هنا خبير نفسي حصيف فهو يدغدغ احلام العرب في الاندفاع نحو حياض الاستقلال والقوة والمنعة ..

ويفضي به (تطور الفكر والشعر) الى أن يأتي بجوامع الكلم يقدمها على مائدة شاعريته الخصبة الأنيقة لأمته العربية ، يستحث عزائمهم ، ويُنهض من كبواتهم بالاشادة بماضيهم التليد المجيد :

ليس بين الانام كالعُرب قوم　　ينصرون الإلـه دنيا ودينا

ويمضي به (الانفتاح) و (التطور) الى اقتحام ميدان العالمية فاذا به يجأر بالشكوى من ظلم الغرب المستعمِر للشرق المُستَثْمَر :

لك يا فاطر السموات نشكو　　ما أتاه البغاة في الأرَضينا
أفسدوا الخلق حاربوا الحق سدوا　　طرق الرزق ، روعوا الآمِنينا

ويسير في مهيع الانفتاح والتطور فاذا به يُعَرِّفُ الغرب المستعمر الظالم للشرق الاسلامي في استعماره له وتخريب دياره وتقليص مقدراته ، والعبث بمقدساته – يُعرفه ويذكره بماضي الشرق المجيد الذي كان الغرب فيه تابعاً للشرق ، فيقول له ، من قصيدة عصماء :

عربٌ كلنا وأنتم من الضلة　　انتم بنورنا ترشدونا
نحن نور الإلـه في الارض من ذا　　بأباطيل غيِّه يطفينا ؟ !

ويتلوى ألماً ، من حالة الأمة العربية ابان استشراء الاستعمار الغربي في اوطانها الخيرة فيقول :

أمن العدل ان يعيش سوانا　　في سرور ونحن مكتئبونا ؟

نتشاكى على الظما كيف اضحى   كدِراً ماؤنا النمير ، وطينا

ويبلغ بـه (الانفتاح) الشعري و (التطور) الفكري إلى الذروة في قصيدة (القدس) المحتل في الحرب العالمية الأولى ، ونراه يتنزى ألماً ، ويرسل حمماً على المحتلين ، حينما يرسل اضواء مشرقة إلى أمته ليوقظها من سباتها ولتحمي حمى الحرمين الشريفين من ذلك العدوان الغربي المبيّت .. فيقول في مستهلّها :

نبض البرق واستهل البريد   وشأى الرهو منهما التوخيد

حُدّدَ السير للبريد ولكن   ما لسير من بارق تحديد

ويقول وهو بيت القصيد :

سقط « القدس » فالتوت جانحات   وتثنت لآخرين قدود

وأحاشيه من « سقوطٍ » ولكن   سقطِ اللّوْم عنه والتفنيد

* * *

أيها « البيت » لا تسؤك الليالي   حيث ساءت ولا يَضِرك الحقود

ربما جاوزت من الظلم حداً   في مقام تقام فيه الحدود

ثم جاء الزمان فاقتص منها   وأراها المبيدُ كيف يبيد

ولكَم زعزعت صروف الليالي   جبلاً ، ثم عاد وهو وطيد

ولكم أصبح الزمان بِحُكْمٍ   ثم أمسى وحكمه مردود

* * *

أقصري يا خطوب : عن صرح بيت   هو فردٌ بين البيوت وحيد

بفلسطين والحجاز طريقا   ن هما جنة الورى والخلود

عشتما أيها الشقيقان حتى   يفعل الله بالورى ما يريد

أبعدَ الله عنكما كل بأس   ما دنا منكما الرجاء البعيد

لكما المجد أولاً وأخيراً   لكما طارف العلى والتليد

مؤلفات الشاعر

نبه رفائيل بطي إلى أنّ الشاعر المُتَرْجَمَ له عالج التأليف في فجر شبابه ، فله كتاب (البيان الصادق في كشف الحقائق) في وصف بعض أدوار المجتمع . وكتاب (تنبيه الغافلين) ولم يشاهدهما المُتَرْجِمُ — بكسر الجيم — وقال عنهما : (لعلهما في جُمْلَةِ ما فُقد من آثاره أوقات الحرج قبل أن يغادر وطنه الأول) .

وأضاف المُتَرْجِمُ — بكسر الجيم أيضاً — أن (ثروته الباقية — هي ديوان شعره الضخم ، رغماً عما ضاع من شعر فتوته . وقد طبع من شعره المجلد الأول في دمشق قبل سبعة أعوام — أي سنة ١٣٦٠ هـ . — ١٩٤٠ م . وها هوذا المجلد الثاني بين يدي القارىء) [1] — وهذا المجلد هو الذي جعلته جليساً لي ، ونديماً في أيام عيد الفطر ، ومنه استخرجت جُلّ حاصل هذه الدراسة . ويقول رفائيل بطي عن ديوان الشاعر : (وفي تضاعيف هذا الديوان شخصية الشاعر الخالدة) .

---

(١) نشرت ابنته الدكتورة رباب في مجلة (الكتاب) البغدادية الصادرة سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م أن لوالدها ديواناً ثالثاً سيقوم بطبعه زوجها .. وكأنها نسيت اول ديوان له طبع في دمشق قبل الديوانين اللذين ذكرت انهما لوالدها وانهما طبعهما زوجها. راجع ص ٧٤ من مجلة الكتاب لسنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .

أما المقدمة الثانية للديوان فهي (للشيخ عبد القادر المغربي ، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق آنذاك) وهي تتناول بعض ذكرياته عن الشاعر ، وبعض حوادث حياته ، وما لاقاه من عنت وبؤس في الحياة ومن هذه المقدمة يبدو أن الشاعر أغرق في الانتساب الى الشيخ محمد عبده ، الذي آواه وساعده على محنـــة الفقر والغُرْبة ، متأثراً باعتناق الشاعر لمبادىء استاذه الأفغاني ، وبنفيه لنفسه من وطنه الأول بسبب اصراره على الالتزام بمبادىء أستاذه مهما يكلفـه الأمر . وليس من ريب في أن هذا الانتساب الى الشيخ محمد عبده قـد أحنق الخديوي عباساً على الكاظمي .. فامتنع عن « معونته » براتب شهري ضئيل كان يرجو أن يناله منه بعد ما مضى الشيخ محمد عبده الى ربه ... فلاقى الشاعر من جراء ذلك أي بؤس وأي عنت ، وناله أي تبرم بالحياة . مما اضطره إلى أن يلازم داره في (درب الكحكيين) بالقاهرة .. آنئذ .

وقد ألحت عليه الفاقة .. الى آخر حياته وهكذا بدأت حياته في ظلال البؤس والتشريد ، واختتمت بالبؤس والفاقة . رحمه الله ..

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرَّس بأنياب ويوطأ بمنسم

ذكريات الوطن الأول

يقول الكاظمي[1] من قصيدة (قافية) بعنوان : (ألا خَبَرٌ من ثنايا العراق ؟) :

هل الدارُ بعدي كعهدي بها	يباكرها العارض المغدق
أم البين أسلمها للبلى ؟	وعاث بها الذئب والخرنق
أحبّاي هل كلف شيّق	يناشده الكلف الشيق ؟
وان خفق البدر ينحو الحمى	نزت كبدي نحوكم تخفق
على حُرَقٍ أضلعي تلتوي	ومن علق أدمعي تدفق
متى تنجلي طبقات الكرو	ب وينجاب سدف العنا المطبق
ومما رماني بكسر الجفو	ن ولم يُخطِني سهمه الأفوق
فتاة ترجرج في زورق	جرى بدموعي بها الزورق

فأنت ترى من الأبيات المتقدمة روح الشاعر الرفافة ، تحوم من بعيد حول وطنه الأول ويتذكر ويذكر أيام شبابه فيه ، وتلك الفتاة

(١) في المحاضرة المطبوعة بمطابع دار قريش بمكة المكرمة للدكتور محسن جمال الدين تحت عنوان « الاسماء والتواقيع المستعارة في الأدب العربي » أن عبد المحسن الكاظمي « كان يوقع أشعاره بلقب : (الكاظمي) فقط . ص ١٥ .

التي فتنته ، وهي في زورق من زوارق دجلة ، يترجرج بها وتترجرج فيه ، في نعومتها وجمالها وألقها الجذاب . وكانت اهتزازات الزورق بفعل أمواج النهر الدفاق . وهذا النهر الدفاق المترجرج مكون من ذرات دموع الشاعر ، فأمواجه من أمواجها .. هذا تصوير شعري بديع .. وخيال خصب مطيع .

وان ننس لا ننس قوله : (وعاش بها الذئب والخرنق) .. فالخرنق هو الأرنب وهو بهذا يكشف عن نظراته وعبراته وهو غريب عن دياره العزيزة عليه ، والأثيرة لديه .

ومن قصائد الذكريات :

قصيدته اللامية التي جاء فيها قوله :

ولقد حسبت أحبتي	فوجدتهم كثُروا وقلُّوا
وذكرتهم في حين قد	نسي الوداد أخ وخِل
والليل شابَ قذاله	والفجر في الحجرات طفل
تجري الدموع على الصهيـ	ـل وما لخيل الدمع صهل
يا عين طلُّك وابل	ابدا ، ووبْل سواك طل

لا ريب في أن هذه القصيدة هي أيضاً من قصائد الذكريات العميقة للوطن الأول للشاعر : (بغداد) عاصمة العراق . ودليلنا على ذلك قوله فيها قبل الأبيات المتقدمة :

قالوا : سلا أوطانــه وأخو الصبابه ليس يسلو

وقوله في ختامها :

ذكراك يا وطن الصبـا ذكراي أرحل أم أحل [1]

والشاعر هنا في هذه القصيدة يضرب على الوتر الحساس ، يريد أن ينفس عن صدره بعض همومه ، فيستعرض هذه الذكريات ، ويسجلها في قصيدته .. وربما كان منه ذلك في بعض ساعات الحرج التي كانت كثيراً ما تنتابه أزماتها في مهجره ووطنه الثاني : القاهرة . وقديماً قال شاعر حكيم ملتاع بالغربة مثله :

وارحمتــاه للنازح الغريـ ـب ماذا بنفسه صنعا ؟

فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

* * *

وظاهرة الانسجام والسهولة والامتناع واضحة في أبيـات الكاظمي السابقة .. وهي سهولة محببة يمتاز بها عن سواه من شعراء عصره كل الامتياز .. لقد بلغ فيها الذروة ، وفاق البهاء زهيراً ، ولم يصل الى مستواه فيها لا محمد حافظ ابراهيم ، ولا خليل مطران ، ولا الأخطل الصغير أيضاً . إن شعره في الأغلب الأعم – خـال – على وضوحه وجزالته ، من التعقيد ، فهو كالماء الزلال النمير ، يكشف لك عما في باطنه بكل جلاء أو (كالزجاج الشفيف النظيف يريك مـا وراءه من داخل نفسه بكل وضوح .. ومع أن أبا العتاهية من الشعراء القدامى

---

(١) أنبأني الدكتور محسن جمال الدين إنه ورد في مقدمة ديوان الكاظمي الاول قوله :

وقائلة سر نحو مصر تر المنى وانت على كل البلاد امير

فقلت لها والدمع مني مطلق : أسير وقلبي في العراق أسير

الممتازين بهذه السهولة فانه لم يصل فيها الى مستوى الكاظمي .. والسبب في ذلك أن الكاظمي جمع الى السهولةِ السهلة ، الجزالة الجزلةَ ، وطولَ النَّفَس فلم يركّ شعره مطلقاً .. وفي شعر ابي العتاهيـــة بعض الأحيان شيء من الركاكة ، ولم يكن طويـــل النفس كالكاظمي .. وكلاهما عراقي . ومن أجمل قوله في هذه القصيدة وأسهله وأجزله :

يا عين طلّك وابـــل   أبداً ووبْل سواك طل

* * *

وإن ننس لا ننس قصيدته المشجية التي جهر فيها بكوامن شعوره حيال حنينه البالغ الذي لا تنطفيء وقدته الى وطنه الاول بغداد . فقد اماط لنا فيها السر عن دخائل نفسه حيال مُهاجَره ووطنه الجديد ، وانه لا يساوي لديه مطلقاً بلده الأول الحبيب الأثير لديه .. يقول :

جَوًى أودى بقلبك أم وجيب   غداة حدا بك الحادي الطّروبُ
بَعِدْتَ عن الديار وصرت تدعو   على البُعْدِ ، الديارَ ، ولا مجيبُ
رحلتَ وأنت للعليـــاء صادٍ   تحوم على الموارد أو تلوبُ
وخلّفْتَ المنـــازل آنســـاتٍ   سُروب الغِيد يتبعها سُروب[1]

ويمضي فيقول :

فلا « حلوانُ » في عينيّ تحلو   ولا طيب « الجنينة » لي يطيبُ
وما في ذا الحمى لي من حمـــيم   بصحبته ألذّ وأستطيـــب

لقد استرسل الكاظمي على سجيته المعطاء ، ونَفَسه الطويـــل ، في

(١) جمع سرب .

هذه القصيدة التي بلغت أبياتها (١٦٣) بيتاً من الشعر الرصين المعبر .. فكان شاعراً بمعنى الكلمة . ان قصيدته هذه تكشف عن آلامه ومكنونات صدره .. إزاء وطنه الأول المفدّى ووطنه الثاني الذي يضطر فيه الى كثير من المجاملة والمداراة ..

ويعطف القول على « بغـداد » في قصيدة له أخرى فيكشف عن ذات نفسه حيال حبها المكين :

ايه بغداد لا تـَسوءكِ الليالي وسيعنو لمجـــدك الحاسدونا

ويقدم اليها في قصيدة أخرى باقات نصحه فيقول :

عسى بغداد يوقظهـــا بياني فتقرأ فيه أبكار المعـــاني

ويصب جام اشواقه المبرحــة الى وطنه الأول في (همزيــة) عصماء مطلعها :

من رأى البدر طالعـاً في قباء يفضح الشمس في سنا وسناء

وفيها يقول معرباً عن لوافح حنينه :

ايها القلب كم تـَحِنُّ الى(الكرْ خ) وتهفو لساكني (الزوراء)

ولا غرو ان يشتاق الشاعر المرهف الاحساس الى مرابع صبـاه ومراتع طفولته وشبابه .. فالشاعر انسان له قلب خفـاق ، وشعور حساس .

ولعل من بواكير شعر الحنين لديه الى أهله قصيدته التي بعث بهـا (الى شقيقه وقد طال نزوحه عن وطنه ولم يبعث بأخبـاره) .. وهي قصيدة (من بواكير نظمه على ما افادنا به دارسو شاعريته)

وفيها يقول لأخيه :

يا خيبة القلب ان لم يرقَّ لي منك قلب
أراعَنا منك بُعـد فهل لنا منك قرب ؟

وأعتقد ان الكاظمي قال هـذه القصيدة وهو لمَّا يبرح بلاده .. ولم يكن يدخل في روعه يومئذ ان « غربته » هو عن وطنـه الأول ستكون قصية ومديدة الى آخر الشوط .

ليلة في عابدين

يقول في قصيدة بعنوان : (ليلة في عابدين) يصف زفاف الأميرة عطية الله ابنة الخديو عباس حلمي الثاني :

في ليلة بلغت منا عشيتهـا	ما ليس تبلغه الآصال والبُكر
جاءت تُريك على مهل مآثرها	وجاء يركض في آثارها السحَر
تريك اقصى الأماني كيف تنشدها	وكيف ينجاب عنك الهم والكدر
تريك كيف يزفّ المجد ربته	وكيف تقرن فيها الشمس والقمر
وكيف تنتظم الدنيا بطلعتها	وكيف تنتشر الأزهار والبِدر
كذا ليفتر ثغر الدهر عن عُرُس	لمثله حسنات الدهر تفتقـر

لا نمتري في ان هذه القصيدة إنما نظمها صاحبها تزلفاً الى عزيز مصر ، لعله يعطف عليه ، عطفاً ينقذه من براثن البؤس والفاقة .. ولعل أحد أصدقائه أشار عليه بأن في مناسبة زفاف ابنة الخديو فرصة ذهبية لتقديم باقة هذا الشعر الجزل تحية للزفاف الميمون ، وسيكافئه الخديو عليها خير مكافأة يتمناها الشاعر المسكين .. ولا ندري ما اذا كان الخديو قد نفحه بشيء من المال أم لا ؟ ولعل من هؤلاء الصديق الذين أشاروا عليه باقتحام هذا الميدان صديقه الحفي به وصديق الخديو :

صاحب « المؤيد » . والا فنحن نعلم مدى البعد الذي يفصل بين الشاعر والخديو . ونعلم أن التزامه باب محمد عبده ، طيلة حياته معه ، وكَيْلَ الثناء العاطر له وجعله إياه الزعيم الديني الأوحد ، يقصيه عن عطف الخديو عباس الذي كان لا يستلطف الشيخ وربما رآه مناوئاً أو شبه مناوىء له . ويضاف الى ذلك أن « شاعر قصر الأمير » كان قد استعمل صنوف دهائه للحيلولة بين الكاظمي والوصول الى قلب الخديو عباس فأفلح في ذلك كل الفلاح ..

ومع ذلك فإن الوصف الذي أعطاه الشاعر لليلة الزفاف لا يبدو عليه التكلف أو التعسف أو التعمل ، لقد كان وصفاً سَلِساً منسجماً رائعاً في غاية الروعة والسلاسة والانسجام . وهو يشبه تلك الأوصاف لمثل هـــذه الليالي الزاهرة التي كان الشعراء العباسيون الكبار ، يخلعونها لمثل هذه الليلة في بغداد .. وقد سهل على الشاعر وصفها ما يحفظه من مئات القصائد العربية في الموضوع ومنها بالطبع قصائد الشعراء في دولة بني العباس .. وما أجمل قوله في وصف الليلة الزاهرة بالأفراح ، التي هي احدى الليالي الملاح :

جاءت تريك على مهل مآثرها وجاء يركض في آثارها السحر

ولفتةٌ بارعة منه قوله بعد البيت المذكور مباشرة :

تريك أقصى الأماني كيف تنشدها
وكيف ينجاب عنك الهمُّ والكدر

إنَّ في هذا البيت بالذات تلميحاً للخديو الكريم بأن يمسح بسابغ عطفه وكرمه آثار الهم والكدر عن مشاعر شاعره الذي أسهم في الحفاوة بليلة زفاف

(كريمته) - أي ابنته .. أسهم فيها برائعته المدوية الدفاقة .. مما يؤكد ولاءه للبيت المالك ، وللخديو عباس بالذات ، ومما يبعد عنه تشنيعات الحاسدين والحاقدين والمنافسين .. الذين يبدو أن شاعر الأمير (أحمد شوقي) يتولى قيادة حزبهم المنافس والمناوىء للكاظمي .. بحماسة وثبات ودهاء ..

قضت الصبابة

للكاظمي قصيدة دالية عنوانها : (قضت الصبابة أن تهون الصيد) ، وقد هنأ بها الشاعر محمود باشا سامي البارودي ، بالعيد ، بعد أن تخلى عن الوزارة . وفيها يقول له :

ونشأتَ في دست الوزارة موريًا	لزنادهـا حيث الزنود خمود
ورضعت أول دَرِّهـا وتركتها	وشلا وآخر دَرِّهـا تصريـد
وطلبت منقطع العـلاء فنلته	متيقظـاً والطالبون هجود
ولنلت فيهـا ما يزيدك رفعة	لو فوق ما نالت يداك مزيـد
إن تَنْأَ عنها فالجديـد مخلَّق	أو تَدْنُ منهـا فالخليق جديد

وواضح ما تتسم به هذه الأبيات من انسجام وطلاوة ودقة وصف أو رقة مدح على أصح التعبيرات . والكاظمي في كل هـذا منسجم مع طبيعة شاعريته الثرة التي لا ينضب معينها . ويبدو طابع السهولة والامتناع في قوله :

إن تنأَ عنها فالجديد مخلَّق	أو تدنُ منها فالخليق جديد

إيراقُ غصْنِ الشِعرِ وإثمارُه

لقد أورق غصن الشعر وأثمر ، فأجاد الإثمار في ذلك العهد الذي كان يتسم بطابع النضال والكفاح ضد المستعمر .. وكانت البلاد مزدهرة من حيث الاقتصاد ، وكان الأدب يحلّق وينطلق في شتى الآفاق العربية .. في مصر ، في سورية ، في العراق ، حتى الحجاز ، كان قد ألم به طائف من هـــذه اليقظة الشعرية الحديثة . وكان من رجالها ابراهيم الأسكوبي وعبد الجليل برّادة ، والأشرم ، والراضي ، ومحمد العمري ، وعمر الكردي . ولذلك لم يكن بدعاً إذ ذاك ان ترى طبيباً بارعاً وهو مع طبه شاعر بارع .. وهــذا طبيب شاعرنا الكاظمي : الدكتور ابراهيم شدودي كان من الشعراء المجيدين .. وشعره كان من القوة والمتانـــة والجمال بمكان ..

وكان هذا الدكتور الشاعر صديقاً حميماً للكاظمي ، وقد عالج عينيه. وأقيم حفل خاص في منزل الأديب سليم سركيس ، فأنشد فيه الدكتور الشاعر قصيدته التي يقول فيها :

نفر الحبيب ولا سببْ   أتراه يسلب ما وهبْ ؟
لا جـــاء ودّعني ولا   بعث الرسول ولا الكتب

يلهـــو بتعذيبي أيحسب أن تعذيبي لعِب ؟!
والشوق أرّقني فبت على أحر من اللهب
فإذا قضيت أسى فكم قبـلي أمات الوجدُ صب

ويمضي في هذا الغزل الرقيق الذي يفيض رقة وجمالاً ، حتى يبلغ إلى الهدف :

لولا اصطحاب الـكاظميّ ظللت دهري أنتحب
اني بمدحك يا فــتى بغدادَ أقضي ما وجب
عزّت بمولدك العرا ق وفاخر العجمَ العرب

وحينما سمع الكاظمي هذه البائية المرقصة الخفيفة الظل والروح تحلبت شاعريته ، فارتجــل قصيدة مسهبة من وزنها وقافيتها على الفور ، وكان مطلعها :

لعب الطبيب ولا عجب ولربّ جـدٍّ في اللعب
ذكر الحبيب وبُعْـده ودلاله إمــا قرب
هز الخواطر كلمــا بالغيد شبّب أو نسب
غنى بمـا غنى َفكُـلٌ أخي هوى َثمِلٌ َطرِب
أطرى فقلت : ُمجامِلٌ يسقي الثرى مما شرب
وسخـا فقلت : مملّكٌ يهب الثرى ممـــا سلب

ويمضي في سبيله ينساب انسياب النهر الدفاق ، وقد تلاعب في قصيدته بالكلام معبراً عن هواجسه وخواطره أبلغ تعبير :

أذكيتَ يا آسي العيو ن فؤاد َصبٍّ مكتئب
وأهجت عندي لوعـة لم يطفها الشّبِمُ العذب
كالنـــار تحت العشب إن اصفت لريح تلتهب

أذكرتني عهـــد الشبا ب وما قضيتُ من الأرب
فمـــن الرباع إلى اليفا ع إلى التلاع إلى الكثب
ومن الخصور إلى النحو ر إلى الثغور إلى الشنب
حيث الهوى غضٌ تَمِ ز خطاه أعطاف القضُب
والروض تصقـــل زهره أيدي الرباب المنسكب

ومن بعد هذه الرحلة الجميلة الى عالم الحب والغزل عاد شاعرنا إلى عالم الواقع فنراه يخاطب طبيبه بقوله :

أنت الجـــلاء لِنَـاظِرَ يّ،فما النضار وما الذهب؟
من كنتَ أنت صحيبه عرف الوفاء إذا صحب
أو كنت أنت طبيبـــه أخذ الأمان من الشجب [1]

وحينما فرغ من إزجـاء عاطر الثناء والتقدير لطبيب عينيه ، الشاعر الصديق ، عاد إلى صديقه الآخر الأديب سليم سركيس فحياه وبياه :

سركيس حسبك قبـــة فضُلت بمعناهـــا القبب
بعكاظ إن شئت ادعها أو َفادْعُها نادي الطرب
جمعت بفضلك نُخبـــةً من قادة الرأي النجُب

وبعد أن أضفى بديع الوصف على مجلس سليم عاد فمنحه صافي التقدير :

هـــل كاتب متفنن كـ(سليم)يبهر إن كتب؟!
لبق بتصريف الكلام يروض منـــه ما صعب

ثم يمضي في طريقه محلقاً كالطائر الغريد الذي له في كل خميلة صدحات وتغريدات مشجيات على الغصون ..

(١) الشجب : الهلاك .

ولم ينس في (مطولته) المطربةَ المحبوكة أن يعرّج على وصف الحالة العالمية الراهنة – حينئذ بالنسبة للغرب المسيطر والشرق المستعمَر فيقول :

انظر الى الدنيـــا ولا تعجب لمنظرها العجَب
ألغرب من يقظاتـــه كالليث أدرك مـا طلب
والشرق من غفلاتـــه كالطفل يلهـو باللهب

أترى الشرق قد زايل اللعب باللهب اليوم ؟ أم مازال يمارس هذه اللعبة الخطرة كما كان ؟.

أما الغرب فمازال ممعناً في صُعوده الماديّ فهو ان ركب متن الهواء القريب من الأرض بعصر الكاظمي فقـد تطاول اليوم الى امتطاءِ عالم الفضاء البعيد وبذلك صح قول الشاعر :

ملكوا الظنون وحلـّقوا فوق الظنون الى الأرب
ركبوا الهواء ومهدوا طرق الهواء لمن ركب
زحموا الطيور وغادروا صعد الطيور الى صبب
وتناولوا هـــام السماء ومزقوا شمل السحب
فمن المهـــاد ، إلى النِجا د ، إلى الطراز ، إلى الغلب
ومن الأديم ، إلى الغيو م ، إلى النجوم إلى القطب

تماماً ، لقد وصف الشاعر المحلق ، تطور التقدم الغربيّ في مجـــال الطيران حتى وصل إلى النجوم ، حقيقة بعدما كان الأمر خيالاً . وبهذه الأبيات ومثيلاتها في شعر الكاظمي نستطيع أن نجعله في صفوف رواد التجديد الشعريّ ، فقد جسّد ما كان مجرد خيال بالأمس ، وجعله واقعاً ملموساً اليوم. ولقد حلق في هذه الأبياتِ الروائع مع شعراء العالم الحديث وأدبائه ،

ومفكريه الكبار مثل ويلز وأضرابه الذين حملهم خيالهم الواسع المجنح إلى مستوى يمكنهم فيه ان يعرضوا لمعاصريهم حياة أجيالهم وحياة الأجيال المقبلة على شاشة حصاد خيالهم الثري اللماح .

والكاظمي في كل هـذا محلـّق كل التحليق مع المحلقين الرواد ، مع قوة في البيان العربي ، قلّ له فيها نظير ، ومن متانة في المحافظة على الطابع العربي الرصين للشعر ، وعلى العروض العربي الأصيل . ولم تـعـُقـْه قافية ولا رويّ ولا وزن أياً كان عن الطيران إلى عالم أحلامه وآماله وآلامه كلما أراد .. كانت القافية وكان الوزن خادمين مطواعين له ، كلما دعاهما لبيا نداءه الحبيب .. ومع ذلك كان من المسهبين ، ومن المرتجلين النوابغ الأقوياء في الديباجة والبيان . وكل هذا ، مما يؤكد لنا أن الشعر العربي في عروضه وأوزانه وفي بيانه وقوافيه هـو من السهولة بمكان . ولكن الضعف والعجز في القيادة الشعرية خاصة ، وخاصة أولئك العجزة الذين حينما أقعدهم العجز قـالوا : إن الرطب الجني والعنب الطازج متعفنان . ، وخيرٌ منها وأحلى الحَشَفُ البـالي والحصرم[٢] الحامض ..

---

(٢) من معاني الحصرم على وزن زبرج : أول العنب ما دام أخضر .

أليفٌ مألوفٌ

الكاظمي أليف ومألوف . ويبدو أنه اذا صادق صادق بإخلاص ، وإذا عادى عادى بصدق وثبات .. ومن أصدقائه الخلص الذين ثبت لهم على الود ، وثبتوا له إلى آخر الشوط ، صديقان أثيران لديه همـــا : عبد القادر المغربي ، وسليم سركيس ..

وها هو ذا يقدم لهما (باقة) زهر فواحة في شكل قصيدة يقول فيها عنهما :

وربيبا فضل ، وَرَبَّا بيان — وقريعا خطب ، إذا الخطب جالا
فاذا ما البروق تقطع ميـلاً — قطع الفكر منكما أميالا
أرياني السحر الحلال بيانـاً — أرياني البيان سحراً حلالا
وابريـا للعلا يراعاً يراعـــاً — وانضوا في الورى مقالا مقالا
فعسى يقتل الجهالة عـــلم — وعسى يصرع الرشاد الضلالا

* * *

على أنه يبدو من دراسة قصائده انـه شديد البأس عارم النفس ، سريع الغضب والانفعال .. وقد اخذنا هذه الصفات من قصائده الماطرات بالويل والثبور لمن اقتنع بأنهم ليسوا في صفه .. وذلك كقصيدته في

شوقي ، وقصيدته العتابية المرة لصديقه الأثير « علي يوسف » فانه لم يسلم من لواذع بيانه ، وقوارع سخريته وتبكيته وتقريعه حينما بلغه شيء عنه يتعلق بوخز الصداقة المتينة بينهما .. كما اخذنا هذه النظرية أيضاً من قصائده الأخرى التي يفتخر فيها بإبائه وشممه ، ونخوته وعدم قبوله للضيم أياً كان مصدره .

الكاظميّ وشوقي

في المثل السائر : (عدو المرء من يعمل بعمله) .. وقال المتنبي : (وعداوة الشعراء بئس المقتنى) . هذا إذا كانت العداوة من شاعر لغير شاعر .. أما إذا كانت العداوة متبادلة بين شاعر وشاعر فالحالة أنكى وأشد وأعنف .. لأن كلا منهما يعرف مقاتل زميـله .. فهو يتحين الفرص ليضربه الضربة القاضية .. وهذا ما حدث فعـلا للكاظميّ مع الشاعر احمد شوقي .. كان أحمد شوقي شاعر بيت الخديو ، ولذا كان لا يريد أن يحوم حول هذا الحمى الخاص بـه أي شاعر آخر .. خاصة إذا كان شاعراً فحلاً كصاحبنا الكاظمي ، وغريباً كهو .. وقد مر بنا كيف أن شوقياً استعمل كل وسائل الدفاع ضد هجوم الكاظمي الولائي على البيت الحاكم ، فلفت الأنظار اليه ، وكبرت العداوة بينهما بباعث امتداح الكاظمي لمحمد عبده الخصم المستتر للخديو ، وربما كانت قد بدرت بوادر لمز في الخديو من الشاعر الكاظمي في بعض قصائـده عرضاً فاتخذها شوقي تكأة ومستنداً وحجة لا تقبل النقض على بغض الكاظمي للخديو وتشهيره بـه . وقد استقرت هذه الوشاية المحبوكة في ذهن الخديو ، فحملها على الكاظمي في نفسه ، وحينما هيض جناحه بوفاة حاميه وصديقه : الشيخ محمد عبده وكان يدفع له من جيبه الخاص

عشرة جنيهات في كل شهر كما أسلفنا – رأى أن يميل الى جناب الخديو عباس حلمي الثاني ، وأن يستميله إليه بشعره المترف الخلاب فيمنحه على الأقل نفس المرتب الذي كان يتقاضاه من صديقه الشيخ محمد عبده ... وهذا ما يمثل لنا شدة قناعة الكاظمي بالعيش الكفاف ، وعدم نهمه في جمع المال .. وقد قالوا عنه انه كان متلافاً للمال . وقد وسط الوسطاء الأقوياء لدى الخديو .. وألح هؤلاء عليه في ذلك ، ووعدهم خيراً في آخر الأمر ، ولكن أحمد شوقي كان للكاظمي بالمرصاد ، وقد تمكن من أن يُخيِّبَ مهمتهم ، وأن يقضي على مساعيهم الخيرة ، وهكذا حرم الشاعر الكبير الفقير من دريهمات معدودة يقيم بها أو ده وأود أسرته الصغيرة ، وهو الغريب النازح الدار ، اللاجيء الى هذه الدار ..

هـــذه مأساة خلقية من مآسي المنافسة الشعرية في العصر العربي الحديث ، ستظل لطخة سوداء في تاريخ أمير الشعراء .. وكان مما يحسن به أن يترفع عن هذا المستوى الذي لا يليق بالعظماء ولا بالشعراء ولا الأدباء .. وكنا نَرْبأ به أن يتنزل من عليائه الفكرية إلى هذه الوهدة ، وان يخوض هذا الوحل . ولكنها النفس البشرية ، لها حسناتها ، ولها معايبها ، على كل حال .. وكما قال الشاعر الآخر :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ؟ كفى المرء نُبْلاً أن تعد معايبه

وما سكت الكاظمي عن هذا السهم (الشوقيّ) يصوّب إلى صميم معيشته .. فأرسلها قصيدة مجلجلة بالنقد والوعيد بالثبور وعظائم الأمور إلى صديقه الألد (أحمد شوقي) ملأها سخرية به وبشعره ، وَوَصفَهُ بالغرور بالأوشاب ، وتهدده بشواظ قلمه المحرق ، إن لم يرجع عن

طريقه السلبية الماكرة معه . قال له :

ألَسْتَ الشاعر الفـذ	وقد أصبَحْتَ لا تشعر [1]
ألا يا أيهـــا المغرو	ر ، بالأوشاب لا تغتر
لئن لم تنتبـــه اليوم	وتخشاني كما تـؤمر
تجـد في قلمي الأدهم	ما في الذابـل الأسمر

وليس من ريب عندنا في أن هذه القصيدة النارية قد أقضت مضجع أحمد شوقي ، وربما زادت من نار غيظه ضراماً ، وحقده أواراً .. فأعلنها « حرباً خفية » لا هوادة فيها على هذا الشاعر « الجريئي المتهور » الذي تجاوز حدود الأدب مع مقامه الرفيع ، والذي يسعى لينافسه عـــلى موائد البيت الذي ربي فيه هو وأبوه من قبله .

وشوقي من البشر ، وله حساد وأعداء كثيرون ، وربما تناولوا هذه القصيدة الهجائية بالاستخفاف والازراء بـه بعضُ أعدائه من الـكبراء والنظراء ، وتندروا بها في مجالسهم الخاصة والعامة ، وربما تناولها بعض نقاده الموتورين فنشرها في بعض الصحف السيارة أو غير السيارة .. وهذا بطبيعته يوجد لديه جواً من الشعور الكمين بالحقد الدفين ، على هذا الشاعر الذي اساء الى سمعته وشهرته ، وندد به وتهدده وتوعده ، ففتح المجال واسعاً لنقد خصومه له ، ودَنس كرامته ومرغها بالوحل ، ورماه بكل موبقة ولقبه بالمغرور والمخدوع ، وسمى شعره في كثير من الزراية (أو شاباً) .. وحضه

---

(١) نستطيع أن نفهم من هذه الابيات ان الـــكاظمي كما مارس المديح والرثاء والوصف والنسيب الخ مارس أيضاً شعر الهجاء ومع ذلك فليس هجاؤه بالكثير الوفير بالنسبة لما مارسه من ألوان الشعر الأخرى ، ويفهم من قوله : (لئن لم تنتبه اليوم وتخشاني كما تؤمر) أنه حـــاد المزاج ، سريع الانفعال ، معتز بنفسه وبشعره .

على (التبعية) له ، والا فله منه الويل والثبور ، وعظائم الامور .. واذا وضعنا كل هذا نصب اعيننا وقَدَّرْناه نفسيا حق التقدير ، فإننا ربما نحيك منه لشوقي بعض العذر في الحيلولة بين الكاظمي وبين اقتحام البلاط الخديوي ، فهذا دفاع عن النفس ودفاع عن الكرامة ، ودفاع عن الشخصية .. وأخيراً دفاع عن شاعرية شوقي من شعر منافس قوي له يجانبه ، يزاحمه على فؤاد « عباس » وربما اختطفه منه آخر الأمر بلباقته ، وبفصاحته وقوة عارضته ، وتدفق شاعريته وخصبها وسيولتها وفيضانها الجبار ..

تحيّة الدّستور العثمانيّ

على نهج زملاء الكاظمي من شعراء مصر المعاصرين له ، نراه يُحَيّي الدستور العثماني تحية ملؤها الإجلال والإكبار لأبطال الدستور : محمود شوكت وأنور ونيازي .. وملؤها الازدراء والشماتة بالسلطان عبد الحميد مُصَدِّرِ هذا الدستور . ولئن كان حافظ ابراهيم ولج هذا الباب نفسه فانّ الكاظمي في « تحية الدستور » كان أنكى في شعره من حافظ بالنسبة لعبد الحميد يقول :

هو العيد أحيوا ليله ونهاره	وحيوهُ بالبشرِ الذي هو لائق
وما مثل هذا العيد عيد تجله	جميع الورى أعداؤه والأصادق
أيوم الهنا لا راعنا بك رائع	ولا طرقتك المزعجات الطوارق
رواقك ممدود ، وظلك وراف	وروضك معقول ومجدك باسق [1]
أيوم الهنا كم من يد لك عندنا	تقر بمرآها العيون الروائق
علا بك صوت الحق بعد خفوته	وبات يرينا الخصم كيف ينافق

(١) جاء في الديوان المطبوع : باشق . بالشين المثلثة .. ونحسبه غلطاً مطبعيا صحته ما أثبتناه . كما ورد فيه : معقول في نفس الشطرة ونحسبه « مصقول » او ما أشبه .

إذا نام مخلوق عن الحل أو سها　　　فللحق رب لا ينام وخالق

* * *

تجاوبت الأقلام من كل جانب　　　وقد أظهرت ما أبطنته المهارق

ويلاحظ دارس تاريخ الأدب العربي الحديث وخاصة الشعر في تلك الفترة ان أعلام شعراء العرب لذلك العهد المعروفين في الصحافة العربية آنذاك : شوقي . حافظ ابراهيم . فؤاد الخطيب . الزهاوي ، وغيرهم قد شاركوا الكاظمي في شعوره الفياض إزاء ما كانوا يعتقدون أنه « نعمة كبرى » حلت بالعالم الاسلامي بعـــد حرمان مرير ، فانجلت الغمة ، وبلغت الأمة إلى القمة .. كان شعورهم بهذا المعنى طاغياً وجارفاً ومتحداً .. وكانوا يرون في أبطال الدستور : محمود شوكت ، أنور ، نيازي إلى آخر التشكيلة رواد خير واصلاح شامل .. ولذلك أنْحَوْا باللائمة على السلطان عبد الحميد ووصموه بكل بائقـة ، ووصفوه بكل شنيعة .. وأنا الآن لا أدري بحق ما إذا كان بعض هذا الشعر الفياض مُوحىً أو مُوصى به من بعض عملاء المندوب السامي في القاهرة ، أو هو شعور نابـع من أعماق أولئك الشعراء بالذات ؟!

والذي دعاني لإيراد هذا الرأي هو ما قد لاحظته من خروج واحد من أولئك الشعراء البـــارزين عن نطاق شعورهم المتحد الجارف إزاء لوم السلطان عبد الحميد وازاء كيل المدح جزافا لابطال الدستور .. وهذا الشاعر المتفرد هو (أحمـــد شوقي) كبير شعراء ذلك العصر والمتفرد فيهم بالزعامة الشعرية ، لسمو شاعريته عن شاعرياتهم مادة ومعنى وهـدفاً ومبنىً . فقد حَيَّى الدستور العثماني ، تحية معتدلة قاصدة .. بقصيدة

من روائع شعره السيارة ولم يُنْحِ فيها باللائمة على السلطان ، ولم يحمله أي تبعة لا قَبْلاً ولا بَعْداً ، ولم يعرج على ربعه الكريم بأية بادرة تسوء إلى سمعته الإسلامية ومكانته المرموقة في العالم ، ولم يقدم أبطال الدستور العثماني المذكورين آنفا على (شاشة) التطبيل والتزمير لهم، وانما حياهم تحية معتدلة قاصدة ، وانما جعل صدور الدستور العثماني نَابِعاً من إرادة الجالس على العرش العثماني نفسه ، فله الفضل الأول فيه ، وإليه الفضل يعود .. وقد أفاض في هذا المعنى ، وكرره وأكده الى آخر بيت من قصيدته العصماء .. ولعل ذلك كان منه عن قصد إيجابيّ حميد .. يهدف به إلى أن يزيل ما قد يكون علق بالأذهان من شعر زملائه وغيرهم من كتّابِ صحافة ذلك العصر ، سريعي الانفعال والاسترسال مع كل صيحة تجديد مهما تكن مسمومة ، من أنّ الدستور صدر على رغم أنف السلطان ، وقد نصح أحمد شوقي الأمة الاسلامية العثمانية خير نصح وأرشد ، وأبان معالم الطريق السويّ في خضم الاحداث المتلاطم يومئذ ، بما لا يدع مجالا الى إنكار زعامة شوقي الشعرية وتمكنه من ناصيته ومن إدارة دفة صولجانه على خير ما يرام . فليس الشعر الحي الخالد مجرد كلام يُنظم نظما آسراً قويا . إنه الى ذلك وسيلة خَيرّة إلى أهداف خَيرّة ترمى ألى التحسين والإصلاح الصحيح الثابت لا الأجوف الزائف .. ونحن نقول هذا وندرك مبلغ حقد الغربيين على الاسلام وسلطان الاسلام عبد الحميد الثاني بالذات .. اذ كان يقف بحزمه ودهائه سداً منيعاً دون أطماعهم وأطماع الصهيونية ربيبة الاستعمار من يومئذ .. فهم يسعون بكل دهائهم وأموالهم وأحابيلهم وضغوطهم الى إزالته من طريقهم لتفترس ذئابهم — رعيته المتناثرة — بعد القضاء عليه ، كما حدث فعلاً بعد الحرب العالمية الاولى . ورعيته

كانت ساذجة بالنسبة لما تُكادُ به وبما يكادُ به سلطانهم في «فروق» .. ولذلك رأينا هؤلاء الشعراء يندفعون بدافع لا ندري مدى تأثره بتوجيهات دهاقنة ساسة الغرب ، ولا ندري ما إذا كان أو لم يكن مُوحى به من هؤلاء الدهاقنة . من وراء استار ..

ولا ندري ماذا انفقت سفاراتهم في سبيل إشاعة هذا الشعور الجارف من طريق الصحافة العربية في مصر والشام والعراق .. ونحن لا نقول هذا لمجرد التحامل على الغرب أو لمجرد النقد للشرق وشعرائه وكتابه ، أو لمجرد إرسال الكلام على عواهنه ، فكل الاصابع تشير إلى كليب .. وقد سلم أحمد شوقي من هذا (التوجيه المستتر) جملة وتفصيلاً . فدل بذلك على بعد نظره وسداد فكره ، وسمو شاعريته ، وعظمة شعره ، فهو عظيم وقائد في هذا الشعر الحي الخالد . ولربما حصل أولئك الشعراء على التطبيل والتزمير من دهاقنة الغرب يومئذ وانما طبلوا لهم وزمروا ظاهراً ، وهم إنما يطبلون ويزمرون باطناً بنجاح خططهم الرامية إلى بث التفرقة وزيادة شقة الخلاف اتساعاً ، بين السلطان الكبير ، وشعبه الكبير . وقد أساء الاتحاديون صنعاً وقوضوا معالم الوحدة العثمانية الشاملة بسوء فعالهم ونياتهم ولم يلموا شعثها كما تَخَيَّل أو خُيِلَ لأولئك الشعراء وعاد الناس كل الناس حتى أولئك الشعراء أو أغلبهم على الأقل يندبون حظهم بعد ما تمكن أبطال الدستور ومن لف لفهم من الاستيلاء التام على صولجان الحكم .. فاذا بهم يزيدون شقة الخلاف بين الشعوب العثمانية هوةً واتساعاً .. واذا بهم (عنصريون) جفاة قساة غلاظ مردة لا يحسنون حكماً ، ولا يقيمون للأخلاق وللأسلام وزناً . إن الأسلام قد اتخذوه مطية ذلولا ، لهم يركبونها إلى أغراضهم في تثبيت دعائم حكمهم العنصري

الثوراني .. مما كان الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله سداً منيعاً دونه .. فكان يقرب العرب ويحبهم ويتألفهم [1] وكان ديدنه جمع الشمل ورأب الصدع . مما دعا السفراء الغربيين القابعين في الاستانة ، وقناصل الدول الغربية في بعض بلاد العرب ، إلى أن يشنوها حرباً شعواء عليه بغية الإسراع بالقضاء على حكمه المؤلف للقلوب وما خفي علينا من الأحابيل التي فتلتها أيدي السياسة الغربية في هذا الشأن يومذاك أدهى وأمر ، وأعظم وأخطر [3] . والبعرة تدل على البعير .. والبعرة هنا هي ذلك المصير .. الذي صار إليه العرب بعد الحرب العظمى الأولى ، وبعد انتصار الغرب ذلك الانتصار الساحق .. مما لا يزال العرب يعانون من ويلاته حتى الآن ..

وأعتقد ان ما ينيف على نصف قرن من الزمان ، وقد مضي على صدور الدستور العثماني واقتباله من شعراء العرب كأعظم حادث إصلاح وتحسين لأوضاع المسلمين — قد كشف الغمة وجعل الأحداث الماضية تتجلى على حقائقها فصح للمؤرخ الحصيف أن يبدي رأيه فيها بتجرد .

---

(١) نشرنا في عدد مجلة المنهل الصادر لذي القعدة ١٣٨٨ هـ وثيقة خطية يشرح فيها الشريف حسين الشهيد لبعض رجالات العرب من هذه البلاد ، على أن السلطان عبد الحميد يحب العرب ويتألفهم ويسعى لترقية مستواهم الثقافي والاداري والسياسي وانه يهمه ان يتضلعوا في التعلم الحديث ليقوموا بالشؤون التي تسندها الدولة اليهم وفق المرغوب .

(٣) يقول الأستاذ (على أصغر شميم) في كتابه : (ايران في عهد الدولة القاجارية) — وهو الكتاب الذي ترجمه الى العربية الدكتور أحمد خالد البدلي وتنشره مجلة المنهل تباعاً — يقول المؤلف وقد نشر هذا في عدد ذي القعدة ١٣٨٨ هـ ، ما نصه :

(لقد وقع كثير من ساسة ايران في العهد القاجاري في احابيل السياسة الاستعمارية البريطانية والفرنسية ، وقد أدى جهل هؤلاء الساسة الى توريطهم في أمور جروا بسببها الويل والدمار على بلادهم) .

وعلى كل فقد انحرف الكاظمي انحرافاً كلياً في هذا المجرى ، وتفوق فيه على زملائه الآخرين ..

ونعني بالآخرين هنا : فؤاداً الخطيب الذي كان يلقب هو الآخر بشاعر العرب .. فقد نظم قصيدة قوية في هذا المعنى يقول فيمطلعها :

بلغنا من الآمال ما كان قاصياً ورضنا من الأيام ما كان عاصيا

ويمضي حتى يصور الملأ ما سوف يقطفه الشعب العثماني الإسلامي من ثمار الدستور العثماني :

فلا غل بعد اليوم يوغر صدرهم فقد نزعوه واستعاضوا التصافيا
ولا دين بعد اليوم ينثر عقدهم فقد نظموه واستعادوا التآخيا

ولنا أن نتساءل الآن ونحن الآن في أواخر سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م أي غل هذا الذي نزعوه ؟ وأي تصاف هذا الذي زرعوه ؟.. لا جرم أن الشاعر فؤاداً الخطيب وقد شاهد فيما بعد مشانق الشام في دمشقها وبيروتها ، قد رجع عن رأيه هذا حيال نزع القائمين بالدستور الغل بين الطوائف المختلفة ، وحيال استعادتهم للتصافي بينها . فإن الأمر في اواخره وفي خواتيمه بالنسبة لرواد ذلك الدستور قد استحال إلى الضد تماماً .. كما هو معروف من مشاهد التاريخ الحديث .. وأخيراً هل الدين ينثر العقد أم ينظمه ؟ أرى أن السبب في كل ما حدث للاسلام والمسلمين من نكبات يعود في حقيقته إلى نبذهم تعاليم الدين الاسلامي .. وارتضائهم بأخذ القوانين الغربية ، والمنهج الغربي مكانه .. وهذا أيضاً من المشاهد المؤسفة المؤلمة .. وأعتقد ان فؤاداً الخطيب قد عاد أيضاً عن هذه الفكرة وتاب عن هذه النظرية الهوجاء نتيجة تجاربه الملموسة

فيما بعد ، مما تدل عليه قصائده التالية السائرة في نفس الخط الذي سار فيه الكاظمي ، ومشى فيه الزهاوي شاعر العراق المعروف ، بنزعته الغربية التي خيل له انها كل التجدد والتجديد .. فله قصيدة بعنوان : (الاتحاد) يقول فيها مخاطباً الدستور العثماني :

نفديك من كوكب للرشد وهاج ... نمشي على ضوئه في ليلنا الداجي
بالاتحاد اعتصم إن كنت معتصماً ... فإنه للترقي خير منهاج

و (الاتحاد) و (الترقي) هنا يعني بهما : (جمعية الاتحاد والترقي) التي كان في طليعة رجالها : شوكت ، وأنور ، ونيازي ، وطلعت ، وجمال . وما نكب الشرق الاسلاميّ والعربيّ شيء ابلغ من الشعارات البراقة .. ان هذه الشعارات تخطف ابصارهم وتستهوي بصائرهم وتذهب بألبابهم ، وتجعلهم آلات مسخرة لمن يحملها ويدعو اليها .. وكان اولئك الرجال سموا جمعيتهم باسم براق كان في طليعة هذه الشعارات البراقة التي دخلت على الشرق الاسلامي والعربي ففتنته ونكبته نكبات متواليات .. وكان شعار جمعيتهم : (حريت . عدالت . مساوات) فهل حققوا للعالم الاسلامي العثماني هذه العدالة ؟ وهذه الحرية وهذه المساواة ؟ اكبر الظن وأحقه أن الأمر كان بالعكس تماماً .

لعل بعض شعراء العرب الذين كالوا للاتحاديين المديح جزافاً في مقدمة من نفض الأيدي منهم وقاوموهم أعنف مقاومة بأقلامهم وبشعرهم وبألسنتهم .. فليت العرب يتعظون ، وليتهم يتريثون حينما تهب عليهم أعاصير الشعارات البراقة .. ليميزوا الغث من السمين .. ولعلهم يرشدون

اذا ما صدح صادح أو رفع رافع هذه الشعارات البراقة الخداعة .

* * *

ولحافظ ابراهيم الشاعر الثاني في الديار المصرية قصيدة تلتمع فيها رجوم الشماتة ونجوم التقدير .. الشماتة في السلطان ، والتقدير لرجال الاتحاد .. فهو قد اندفع فيما اندفع فيه زميلاه : الكاظمي والزهاوي تماماً ..

يقول :

تحالف في ظل الهلال إمامه ... وَحاخامُه بعد الخلاف وراهبه

ويقول :

اذا (شوكت) الفاروق قام مناديا ... إلى الحق لباه (نيازي) وصاحبه
ثلاثة آساد يجانبها الردى ... وان هي لاقاها الردى لاتجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقي ... مخالبها فيه ، وتنبو مخالبه

وقد أسرف حافظ كزميليه المذكورين في الإنحاء باللائمة والتشهير بالسلطان عبد الحميد فقال عنه :

ولم يغن عن (عبد الحميد) دهاؤه ... ولا عصمت (عبد الحميد) تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه ... دنانيره والأمر بالأمر حازبه
ولم يخفه من أعين الحق مخدع ... ولا نفق في الأرض جم مساربه

وقد أثنى على (تموز) ثناءا عاطراً ، أسوة بزملائه فقال :

لك الله يا (تموز) انك بَلْسَمٌ ... لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه

كما قارن يوم عيد الدستور العثماني بيوم عيد الحرية في فرنسا فكلاهما كان في تموز :

ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله تدفق في دار السلام مواكبه

وحتى الرجل الوقور : فارس الخوري قد تأثر بروح شعراء عصره وكُتابه ، فنظم قصيدة بعنوان : (وداع وعتاب للسلطان السابق عبد الحميد) وقد نشر هذه القصيدة في عام ١٩٠٩ م في مجلة المقتبس بتوقيع (ف) .

ويقول محمد الفرحاني مترجم فارس الخوري في كتابه عنه (فارس الخوري وأيام لا تنسى) في الصفحة ٣٠٢ و ٣١٨ : (إن فارس الخوري قال : إنه لم يندم في حياته ، على شيء ، ندمه على القصيدة ، التي نظمها اثر إعلان الدستور العثماني ، وهجا بها السلطان عبد الحميد الثاني ، حيث تأكد له بما لا يقبل الجدل أن هذا الخليفة الإسلامي قد راح ضحية ثأر اليهودية العالمية التي ساءها رفضه لاقتراح ثيودور هرتسل) .

وها نحن أولاء نورد هنا أبياتاً من تلك القصيدة التي اندفع ناظمها مع التيار الجارف الذي كما أشرنا إليه هبت أعاصيره من دهاقنة الغرب تبعاً لمصالحهم ومصالح الصهيونية العالمية والتي يخدمونها ، والتي دأبت على ركوب ظهور رجالات الغرب واتخاذهم مطايا ذُلـُلاً للوصول عليهم الى اغراضهم الهدامة منذ ذلك العهد وفيما قبله وفيما بعده إلى اليوم ...

قال فارس الخوري يخاطب السلطان عبد الحميد الثاني في تلك القصيدة اللاذعة التي بلغ به الندم أشده بعدما نشرها وتأكد انها كانت تخدم اغراضاً خبيثة غير وطنية وغير نزيهة ولا شريفة :

محافظ الحرمين اعدل فهل أمنت ... في ظلك الكعبة الزهراء والحرم
أم حج حجاج بيت الله في دعة ... بدون ان يرهقوا فيها ويهتضموا !؟
ولَيَّنْتَهُ فاسقاً [١] لم يرع حرمته ... في ذمة الله ضاعت عنده الذمم
كم استجاروا عليه فازدريت بهم ... إن لم تكن ناقماً فالله منتقم [٢]

أما شوقي أكبر شعراء عصره وأشهرهم ، فإنَّهُ أخذ العصا — كما يقول المثل العامي — من النصف ، ولم يجرفه تيار الفرح الغامر إلى آخر الشوط ، بل وضع الأمور في نصابها ، ونظر بعين العقل المجرد عن العاطفة والهوى إلى ما وراء الدستور ، فأرسل قصيدة مدوية حَيَّى بها الدستور العثماني ، تحية معتدلة .. ولم يَحُمْ حول حِمَى الشماتة بالسلطان القائم بأمر المسلمين ، ولم يسلط عليه شواظ السخرية اللاذعة ، وانما أعاد فضل إعلان الدستور اليه ، ثم إلى من قاموا معه بذلك . فقال :

أسدى الينا (امير المؤمنين) يداً ... جلت كما جل في الأملاك مسديها
بيضاء ، ما شابها للابرياء دم ... ولا تَكَدَّر بالآثام صافيها
وليس مستعظماً فضل ولا كرم ... من صاحب السكة الكبرى [٥] ومنشيها
إن الهدى والرضا فيه وأسرته ... والله للخير هاديه وهاديها

---

(١) يقصد راتب باشا الذي كان والي الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني . وهذا منقول عن هامش الكتاب المشار اليه آنفاً بالصفحة ٣١٩ نفسها .

(٢) كتاب « فارس الخوري وأيام لا تنسى » لمحمد الفرحاني ص ٣٠٢ ، وفي الصفحات ٣١٨ و٣١٩ و ٣٢٠ اورد محمد الفرحاني كامل قصيدة فارس الخوري المشار اليها ، وقد بلغت ٦١ بيتاً ، وقد طبع الكتاب في مطابع دار الغد ببيروت سنة ١٩٦٥ م.

(١) يعني سكة حديد الحجاز التي شادها السلطان عبد الحميد الثانى .. وهذه لفتة شوقية بارعة يلفت بها نظر المسلمين الى مزايا عبد الحميد .

الصّديق الأثير

صديق الكاظمي الأثير لديه هو الشيخ علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد) الواسعة الانتشار ، فقد كان يصطفيه ويقدره ، ويفضي اليه بشؤونه وشجونه ، ويوسطه لدى الخديو عباس الثاني في حاجاته . وقد جاء في المثل الحجازي العامي : (أحبك يا نافعي) . والشيخ علي يوسف كان براً ونافعاً للشاعر ، ولذلك أصفاه وده ، ومحضه إخلاصه ، وأرسل فيه شوارد القصائد مديحاً واطراءاً ، وثناءاً وتقديراً واحتفاءاً .

فهناك قصيدته المعنونة بـ (قف فالعيون إلى سناك تشير) كان له فيها المديح المستطاب ، من أعماق قلبه . وكانت مناسبة نظمها وارسالها له هي تخليه في الحادث المعروف عن جريدته الاسلامية الذائعة الصيت : (المؤيد) وقد عدّد الشاعر فيها خدمات الشيخ الجليلة للاسلام ، ومساعيه المشكورة للشرق عامة وللمسلمين خاصة ، وقد هنأه فيها بإسناد مشيخة السادات الوفائية اليه ، وبتأليفه لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وتأليفه لجمعية الهلال الأحمر وتأسيسه لها :

يقول له :

صنت الحقوق فقدرتك رجالها وكذا الرجال وهكذا التقـدير

ويمضي إلى أن يقول :

مـا للبلاد سوى يراعك مُرْشِدٌ   وسوى جهـادك مُنقذ ومجير

ويرتفع إلى ذرى الشعر حينما يقول :

ووقفت في وجه الزمان معارضاً   مـن أن يغير على الحقوق مغير
متبسماً والحـادثات عوابس   في وجهـه وفم الخطوب فغور (١)
كالأرقم النضناض ليس يروعه   نابٌ ، ولا يلوي بـه أظفور

* * *

آراؤك اختمرت وسار بذكرهـا   الساري ، ورأي الأكثرين فطير
وبذور فكرك قد نمت وتفرقت   منهـا بآفاق البـلاد بذور

* * *

ويتطرق إلى جريدة المؤيد فيقول :

إن (المؤَيَّدَ) والقلوب تحوطه   رغم الحسود مُؤَيَّدٌ منصور

ثم يعرج على جمعية الهلال التي أسسها الشيخ علي يوسف ورَأَسهـا فيقول :

أن « ابن يوسف » والهـلال وليده
قمر يضيء دجى الزمان منير

وينثني إلى حزب الاصلاح فيقول :

---

(١) أرى أن هذا البيت فيه ملامح من قول المتنبي :
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاء وثغرك باسم

شيدتَ حزباً وابتنيتَ جماعة ... يأوي لها المثؤور والموتور
هذاك للإصلاح شِيد وهذه ... بالصالحات فِنَاؤها معمور

ثم يعود الى جمعية الهلال الأحمرار فيوفيها حقها ويُعَـرِّفُ بها خير تعريف :

رَفَـعَتْ لتخفيف المصائب رايه ... هي في الحروب إلى السلام سفير
علم فؤاد الصالحات بنشره ... جَذِلٌ وطرف المكرمات قرير
في ظله الضدّان قد جمعا على ... كرم الهلال فَمُذْنِبٌ وغفور
قالوا : الهلال، فهللت سوح الوغى ... وتهلل المجروح والمكسور
أضحت ترفرف في الوغى أعلامه ... ولها ورود في الردى وصدور
تمسي وتصبح والمنون مصرة ... يطوي المنايا ظلها المنشور
والحقد بين رحابه متزايـــل ... والذنب تحت ظلاله مغفور
عطف النبي يرف حول بنوده ... وعلى جوانبه الحنان يدور
ومشاهد قد أصبحت من هولها ... (الأرض ترجف والسماء تمور)
ثبت الهلال بها ، ولو نادوا لها ... رضوى، هوى رضوى وزال ثبير
طلع الهلال ولم تغب حسناته ... حيث الخطوب المزعجات حضور
بالله والرسل الكرام معوذ [1] ... من أن يثير به الشكوك مثير
لا تبطل الاعداء سير رجاله ... ألحق منتصر لهم وظهير
بشرى جماعات الهلال بذكره ... فهو اللباب وما عداه قشور
عطرت بذكركم البلاد وذكركم ... مسك تضوع نشره وعبير

(١) الاستعانة لا تكون الا بالله وحده . (كاتب البحث) .

لو كان للجبل الأشم ثباتكم ما دك لما خر موسى الطور[٣]
أو كان في أسد الشرى إقدامكم ما كان في تلك الأسود أسير
قوموا لروما ، ما لروما عندنا إلا النكال المر والتدمير
فعظيمهم يوم الجلاد محقر وكبيرهم يوم الطراد صغير

لقد استرسلنا في إيراد الأبيات المتعلقة بجمعية الهلال الأحمر ، لأمور عديدة .. منها : إشراقتُها وروعتها وجِدّة ديباجتها وموضوعها ، مما يبرهن على تفتح وعي شاعرنا الكاظمي للحياة الجديدة المعاصرة بحذافيرها ، واستيعابه لشكول شتّى من المعرفة الحديثة ، واستيعاب شاعريته الفذة الطيعة لضروب من القول يعجز عن مجاراته فيها فحول الشعراء .. ومن تلك الأمور : أن جمعية الهلال الأحمر ، مشروع ينبض بالحياة الحافلة ، وقد تمكنت عبقرية الشيخ علي يوسف من تأسيسها بالشرق العربي في حرب كانت الدولة العثمانية تخوضها ضد إيطاليا الاستعمارية فجاء تأسيس هذه الجمعية الخيرية لإسعاف جرحى الحرب من المسلمين بلسماً شافياً ، في محله تماماً . وجاء هذا الوصف الدقيق المعبر في هذا الشعر القوي الأنيق ، لها ، من مفاخر الشعر العربي المعاصر ، وبرهن قيام الشعر العربي بهذه المهمة خير قيام على أنه بأوزانه وقوافيه التقليدية ، صالح لكل زمان ومكان بعكس ما ينبزه به « عجزَةُ الشعر المشعور » في الزمن الحاضر من التقصير والتقييد ، والحقيقة تقول بملء فيها ، لهم : إنكم أنتم المُقيّدون المقصّرون ... العاجزون ...

* * *

---

(١) هذه من مبالغات الشاعر المستهجنة شرعاً وعرفا والتي لا تصح لا عقلا ولا شرعا . (كاتب البحث)

هذا ومع علو مكانة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيـد ، في نفس الشاعر الكاظمي فإنه لم يسلم من قوارض عتابه ، وقوارص تأنيبه ، فقد بلغه – على ما ورد في المجموعة الأولى من شعره – ان صديقه الأثير ، علي يوسف ، يردد في المجالس نقده ويتناول سُمعته بما لا يسره .. وعندئذ جرد الكاظمي قلمه ووضع في شباته « صاروخاً » من العتاب المر ، وبعث بالقصيدة إلى صديقه العزيز عليه ولكنه غلفها بالكثير من التقدير له ، مع ما فيها من التشهير ، لقد ترك الكاظمي الباب مفتوحاً بينه وبين صديقه صاحب المؤيد ، بما طعّم به القصيدة اللاذعة من كريم التقدير .. وقد قرظ عباس محمود العقاد هذه القصيدة في المقدمة التي وضعهـا لمجموعة الكاظمي الأولى .. فبعد أن قال عنه : « إن الكاظمي مع سهولة نظمه ، وسرعة خاطره كان يأتي في معارض القول المختلف بما تعجز عنه رَوِيّة آخرين » – قال عن قصيدة العتاب المر بعد أن أورد جملة أبيات عديدة منها ، ما نصه : « فهذا كلام من السهولة كأنه عفو الشفاه ، ومن استقصاء معاني العتاب السري كأنه رَوِيّةُ أعوام » ..

ولا بأس من أن نورد من أبيات القصيدة ما اختاره العقاد منها .. وهو ما يلي :

يقول الكاظمي مخاطباً علي يوسف ضمن قصيدة العتاب :

ما شئت بالـغ في اجتنابك ... واحرم مُحِبّك من خطابِكْ

وانفر كما حسب الهـوى ... وادرج نفارك في حسابِكْ

فمن اصطحابك مـا غنيـ ... ـتُ ولا افتقرتُ الى اصطحابِك

عاتبتُ نفسيَ قبـل أن ... ألقى المُحَبَّبَ من عتابِكْ

ونَضَوْتُ عنكَ ظُبى المـلام ، فخلّ سيفك في قِرابِكْ

هَبْ أنّ لي ذنبـاً فقل ... كيف التخلص من عقابِكْ
هيهات مـا أنا مُذْنِبٌ ... خشي الوقيعـة من عذابِكْ
الذنب من شُعَبِ الزمـا ... نِ ومن أمور في شِعابِكْ
لا تأخُذَنِّي بالقيـا ... سِ فإن ما بي غير ما بِكْ
وإذا لنفسَينا نظـرت ... رأيت دأبي غـير دابِكْ

* * *

أنا مـا انقلبتُ عن الودا ... دِ وأنت أعـلم بانقلابِكْ
لا تُوسِعَنَّ بحـال مَرْء ... ضاق ذرعـاً في رحابِكْ
فـإذا وثَبْتَ كما وثبتَ ... فخذ حذارك من وثابِكْ
وإذا غَررْتَ بنسف هضـ ... ـبي كان نسفك في هضابِكْ
وإذا احتلبت الشرّ فـابـ ... ـعدني فمـا أنا في عِلابِكْ (١)

* * *

وقد اختار العقاد من القصيدة العصماء هذه الأبيات التي ألقى فيها الكاظمي شواظ عتابه على صديقه الأثير ، علي يوسف ، رحمهما الله .. ولعل للعقاد هوى وميولاً الى هذا الجانب من العتـاب الصاخب المر ، يصبه الكاظمي على علي يوسف صباً .. ومطلع القصيدة هو :

ما كان عَطْلاً في ذهابك ... أمسى مُحـلىً في مآبِكْ
وكذا ليالي الأنس عادت ... نـيرات باقترابِـكْ
ومرابـع اللذات أضحتْ ... معشبات من رَبَابـك (٢)

---

(١) جمع علبة .. يقصد أن يقول : اذا حلبت يا علي يوسف الشر فأبعدني فإني لست ممن يوضع حليب الشر في علبه ..

(٢) الرباب هنا ، بمعنى السحاب الأبيض .

وعندما استعرضنا القصيدة عثرنا على « أسخن » ما تتضمنه من مُرّ العتاب وعلقمه . ويتمثل ذلك في قول الكاظمي ، يخاطب صديقه الأثير :

كُلْنِي اغتيابا واشْرَبَنِي ... في طعامك أو شرابك
وإذا نبت بك حـــدة ... فأعِنْ بظفرك حدَّ نابِكْ

واخيراً نراه يحاول رتق مـا فتقه ببيتين عذبين وجهها الى صديقه الأثير بعد عتاب عميق مرير فقال له :

فعليك يا خـــير الصحـــا ... ب تحيتي وعـــلى صحابِكْ
راعـــاك في حسن التخلـ ... ص فارعينهـــا باقتضابِكْ

أن الامر كما قال المتنبي : (وعداوة الشعراء بئس المقتنى » .. وقد أكدت لي هذه القصيدة « المكشوفة » ان الكاظمي ، كان شديد الشكيمة ، ومع بؤسه وحاجته الى مؤازرة علي يوسف ورفده فانه ضرب بكل ذلك عرض الحائط ازاء ما بلغه عنه من لمزات وغمزات لعلها أو لعل بعضها من نسج الأعداء والوشاة الرابضين له بالمرصاد .

ولا ندري ماذا كانت نتيجة هذه العتاب « الساخن » .. فان علي يوسف هو الآخر صنديد لا يستهان بقلمه الفياض ولا بشكيمته الشديدة في عالم النقد والبيان .

مَوْهِبَتَا الارتجال وَطُولِ النَفَس

صَنَّفَ أحدُ خبراء الشعر ، الشعراءَ إلى أربعة اقسام . فقال :

والشعراء فاعلمن اربعـــه فشاعر يَجري ولا يُجرى معه

وشاعر يخوض وسط المعمعه وشاعر من حقه أن تسمعه

وشاعر من حقه أن تصفعه

والكاظمي من الصنف الأول بدون ريب . (وهذى وفود الشعر ، قد شهدت معي) .

وأعظم مفخرة للكاظمي يصول بها ، ويجول ، على بني صناعته في عصره هو ما مُنِحَهُ من موهبة الارتجال مع التسامي في المعاني والتسامي في البيان .. وأنا مع رفائيل بطي حين يقول عنه : (والمزية التي تفرد بها ، بحيث سبق الانداد والنظراء هي طولُ النفَس في الشعر ، والارتجالُ على البداهة لا يقف عند ارتجال البيتين أو الأبيات الأربعة ، بل يتجاوز إلى العشرات بل المئات وقد سجل تاريخ الحركة الأدبية للفقيد في هذا الميدان تفوقاً مميزاً [1]) .

---

(١) ص ٨ من مقدمته لديوانه الثاني .

وأذا اشتم القارىء البسيط نسمات بـــداوة في شعره بسبب ذكره النياق ، والأكوار ، والظباء ، والربوع ، والأطلال ، الـخ فإن ذلك ليدل على منتهى عظمة شاعريته واصالة عروبته ، فقـــد روض الشعر العربي القديم القوي الجزل على ممارسة حياة العصر وطوّع مفاهيم العصر الحاضر للتعابير العربية القحة . وقد فصل هذا المعنى خـــير تفصيل ، وحلله اجمل تحليل الشيخ مصطفى عبد الرزاق في خطبته التي رثى بها الشاعر فقال : رداً على اعتراض الناقدين له بأنه (نقد غير مصيب ، لأن شعر الكاظمي نمط جيد عال من الشعر العربي [1]) .

كما شرح الشيخ عبد القادر المغربي – في مقدمته الديوان – هـــذه المنقبة الفذة في الشاعر بمانرى أن نأتي به جملة وتفصيلاً ، لأنـــه شرح بارع من أستاذ واسع الاطلاع واسع المقدرة البيانية . ولتوسعه في ذلك بما يكفي ويشفي . قال :

(والكاظمي ينظم الشعر على طريقة شعراء عرب الجزيرة من حيث متانة الأسلوب وجزالة الألفاظ وربما امتاز عن كثير منهم بخلو شعره من المعاظلة والتعقيد والإغراب) .

(وكما تفوق على شعراء زمانه بهذه الطريقة نراه امتاز عنهم أيضاً في أنه يرتجل الشعر ارتجالاً غاية في السلاسة ، لا جمجمة فيــه ، ولا تلكؤ ، وإذا ارتجله وقع شعره المرتجل في قالب طريقته الشعرية المطبوعة ، بمعنى أنه مهما طال نفسه في الاتجال جاء شعره المرتجل موسوماً بطابعه

---

(١) المصدر نفسه ص ٨ .

الشخصي ، متقاوداً مستوي الوزن ، لا تشاخس[1] فيه ولا تفاوت ، لا يخذل أوله آخره ، ولا ينوء عجزه بكلكله . وهذا موضع الغرابة في ارتجاله ، وربما لا يجاربه في هذه المزية الا القليل من الشعراء الأقدمين ، بله المتأخرين من شعراء هذه الأيام) اهـ [2] .

وللسيد توفيق البكري وصفٌ دقيق لشاعرية الكاظمي حينما قال : (إنه ثالث اثنين : الشريف الرضيّ ومهيار الديلمي) .

وقد قوم[3] رفائيل بطي شعر الكاظمي فقال :

(أما شعره وقيمته الفنية فتعلو على الأكثر من ناحية الأسلوب الجزل ، وروعة الديباجة ، ومكان الإبداع ، في صدق لهجته وانطباعه علـى القول . وأكثر نظمه من وحي الساعـة . ومن جماع ظروفه ونشأته وثقافته العربية تولدت عنده هذه الخصائص ، فمشى عـلى غرار قدماء الشعراء الذين اكتنزت حافظته بروائعهم ، فاحتذاهم في الطراز ، ولم يقلدهم في معانيهم ، وإن تميزت ألفاظهم وتعابيرهم في نسج قصائده ، فذلك محصوله من اللغة وفصيح العبارة)[4] .

ويكمل رفائيل بطي تقويمه لشعر الكاظمي بقوله : (ويعده المصريون ترجمان العروبة الصادق ، ويهول المتصفح لفيض طبعه ودعوته الصادقة هذا الأمد الطويل إلى احياء مجد العرب ، واستجلاء ألواح[5] تاريخنا المجيد ، فيعد

---

(١) التشاخس : الاضطراب والاختلاف .

(٢) المصدر السابق ص ١٥

(٣) التقويم : هو الصيغةالصحيحة الفصيحة لما اعتادالكتاب المعاصرون أن يسموه التقييم غلطا

(٤) مقدمة رفائيل بطي ص ٨ من المصدر نفسه .

(٥) الواح : جمع لوح هو الصيغة الصحيحة الفصيحة لما يسميه الكتاب اليوم : لوحـة ، وجمعه لوحات وذلك لأن معنى اللوحة في اللغة الفصحى هو (اللمحة والنظرة) .

(مؤرخ الغد) الكاظمي من مؤسسي (الجامعة العربية) وبناة وحدة الناطقين بالضاد)[٦] .

وتلقيبه بمؤرخ الغد[٧] تلقيب موفق ، وقد تقدم لنا بعض آياتـه وبراهينه الصريحة .

* * *

هذا ومن ارتجالياتـه اللامعة المشهورة ، أن نفراً في القاهرة أقاموا حفل تكريم لطالب النقيب ، وبعد أن انتهي المحتلفون من إلقـاء كلماتهم ، وبعد ان قام المحتفى بـه ، فشكر لهم عواطفهم ، حضر الكاظمي على حين غرة ، وما كان ينتظر حضوره ، لمرضه يومئـذ ، فاشرأبت الأعناق إليه ، وبعد التصفيق الكثير قـام وارتجل قصيدة عصماء دوّى لهـا المكان بالتصفيق ، وتمتاز بالطراوة والطلاوة ، وبالقوة والجزالة . وقد بلغت أبياتها سبعة وستين بيتاً قال فيها :

مرحباً بالسَّبُوقِ في حلبات الـ	مجد إن قيل برّز السابقونا
مرحباً بالذي إذا القوم أثنوا	بجليل الثنـاء كان قمينا

وبعد أن ينتهي من (ترحيباته) بضيف الشرف المحتفى به ، وبعد أن يغرقه بأكاليل التحيات الوضئية يلتفت إلى الحاضرين ويذكرهم بمـا يجب أن يحققوه في أنفسهم وفي مجتمعاتهم ، ولكأنه يخاطب القوم بلسان حالهم اليوم .. فهو كما قال رفائيل بطي : (مؤرخ الغد) ، قال :

أيها القوم كلنا اليوم عرب	وإلى العرب يطمح العـالمونا

---

(٦) ص ٦ مقدمة رفائيل بطي .
٧) لقبه بذلك رفائيل بطى .

ليكن كلنا كما كان قحطا ... ن أبو جدنا وجد أبينــــا
بعضنا في الخطوب عون لبعض ... إن أردنا على الخطوب معينا
فعراقيُّنا متى اشتد خطب ... رد سوريُّنا الشدائــد لينا
وكذاك النجديُّ إن ريع يوماً ... فالتهاميُّ كان ركنــاً ركينا
وإذا أقسم الورى أن يبروا ... فذوو يعرب أبر يمينــــا

* * *

أيها العرب بادروا واستردوا ... مجدكم من مخالب الغاصبينا
ليس ذا اليوم يوم أن تتولوا ... والألى دونكم عُلا يسرعونا
لا يفرقكم اختــــلاف فأنتم ... في سبيل الأوطان متفقونا
أنظروا موضع الخطى وتمشوا ... تأمنوا اليوم زلة الخاطينا
فعظات الأيام أفصح من أن ... يتغاضى عن هَديها العارفونا

إن ما أشار اليه من وحدة نجد والحجاز قد حققه المقدور ، ولله الحمد والمنة ، فبرزت المملكة العربية السعودية منذ أربعـة وأربعين عامــاً بتوفيق الله جلّ وعزّ ، ثم بجهودات المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود — دولة واحدة ، وشعباً واحداً .. وبذلك ضربت المثل الطيب للعرب الآخرين في هــذا المنهج السديد الذي أشار إلى ضرورة حدوثه « شاعرُ الغد » و « شاعرُ العرب ابو المكارم عبد المحسن الكاظمي » . رحمه الله .

مديحيات الكاظمي وفخرياته

إذا كان الشعر مما يهز نياط القلوب في أَسرِهِ لها وفي طراوته وطلاوته وموسيقاه ، فهو شعر رائع .. سواء أكان شعراً سياسياً أم اجتماعياً أم وصفياً أم مديحاً أم رثاء أم نسيباً أم أي نوع من أنواع الشعر التقليدي والحديث .. وإن كان غير ذلك مما تمج الأسماع سماعه وتستثقله القلوب ، لفقدانه مقومات الشعر المنشودة فليس بنافعه أن يكون اجتماعيـــاً أو سياسياً أو وطنياً أو وصفياً .. إن محله اذن (سلال المهملات) ..

وعلى هذا سلك الناقدون الحصفاء مديحيـــات المتنبي ، وأبي تمام ، ووصفيات البحتري ، وغزليات ابي نواس ، وفخريات الشريف الرضي وابي فراس ، وحكميـات زهير بن أبي سلمى ، وطراديات الشنفري ، وحربيات أبي تمام ، وفخريات الحارث بن حلزة اليشكريّ ، في عداد مواكب الشعر الحافلة .

وعلى هذا فإن مديحيات الكاظمي لمحمد عبده ، أو لعلي يوسف أو لسعد زغلول أو لسواهم من الرجال هي من هذا النوع الخفاق الأجنحة ، الذي يتسامى في تحليقه ، فيرفع لواء المديح على جناحيه إلى ذرى الشعر المحلق ، ذي الأهداف الإصلاحية والاجتماعية القيمة ، وذي التوجيهات

القوية .. وما كان شعر الكاظمي في المديح إلا من هذا النوع الممتاز . إنه يتخذه سلماً لتوجيه أو تنبيه .. لتوجيه الممدوح والسامعين والقارئين إلى ما يروم أن يوجههم اليه من جلب خير للأمة ، أو دفع ضرر عنها ، أو مؤازرة لمشروع مفيد ، أو نضال عن مبدأ حميد ذي فوائد جزيلة للشعب والأفراد .

ونستثني من هذا الفيض الزاخر ، وهذا القاموس المحيط ، والقابوس الوسيط ، بضع قصائد دفعته إلى قولها حاجة ملحـــة ، أو دفاع عن كرامة مثلومة ، أو فخر شخصي يرفع به عن نفسه أثقال الهموم والغموم التي تنيخ بكلكلها عليه منذ شبابه .. فالفخر عنـد بعض الشعراء صيقل يجلو النفوس وينشطها من عُقُلِهُا ، ويُعينها على تحمل نكبـــات الدهر . ولذلك نرى هذا اللون من الشعر لدى من ينظم عقوده ، مغرقا في الإيغال ، والتهويل والمبالغة في ارتفاع مكانة صاحبه وَجلَدِهِ على مقارعة نوائب الدهر وعلى مقارعة الخطوب ، وجعل الدنيا الماكسة له طوع بنانه ، يوميء اليها فتخضع ويأمرها فتطيع ، ولذلك نسمع في هذا اللون الخيالي المتحمس من الشعر قعقعة السيوف وصليلهـــا ، ونلمح بريق الرماح ورنينها ، مع أن الشاعر أعزل من كل هذه المعدات[1] الحربية لا يعرف كيف يجرد السيف من غمده ، ولا يدري كيف يصوب الرمح إلى خصمه ، ولكنها النفس الأبية تجالد الزمان الجبار ، وتصارعه بهذا النوع اللذيذ من الإيحاء الذاتي بالعظمة والجبروت والشموخ . ومن هذه

---

(١) من شعر الكاظمي في الفخر :

انا من علمت اذا الضراغم هومت ... كلأ العرين بمقـــلة لم ترقد
فاذا غضبت فأي قلب لم يطر ... رعبا وأي فريصة لم ترعد

النافذة يتنفس الشاعر المتفاخر ، الصمداء ، ويتلمس طريقه الى إثبات الكيان المهدوم المأزوم ، ودعم المجد المثلوم .

وإذا عرف القارىء هذا المعنى وتأمله وجده حقيقة مطابقة لذبذبات نفوس أولئك الشعراء ، ونبضات قلوبهم . ومن هـــذه الزاوية يقرأ شعرهم على أنه نوع من التنفيس عن كروبهم ليس غير ..

* * *

أرانا أسهبنا في الاستطراد . وبعض الهدف من وراء هــذه الكلمة المسهبة هو تقرير أن الفخر في الشعر أساسه التنفيس عن صدور شعراء الفخر ، وتقرير أن شعر المديح الذي يصدر من أغلبهم لمن يقدرونهم من البشر إذا كان عالياً وهادفاً هو شعر محترم ، وله مكانته في ديوان الخلود بقدر ارتفاع مستواه فنياً وهدفياً .

وهذا ديدن الكاظمي . إن ديوانه مشحون بالمدائح .. لقوم أجلّةٍ ، ولزعماء إصلاح ، ولرجال دون ذلك المستوى بقليل أو كثير . وشعره ليس مجرداً للمديح .. بل فيه نبضات انطلاق وطنية وومضات إشراق اجتماعية تنير دروب أولئك الممدوحين في الحياة وتفتح وعي القارئين ، معهم ، لمدائحه - إلى فهم ما يجب عليهم في الحياة . ومن ألمـــع من وجه إليهم غرر المدائح ، صديقه الأعز محمد عبده . فها هو ذا يقول فيـــه :

من شاء أن يحظى بمدحي   فَلْيَكُنْ مثلي حميداً أو كمثل محمد

ويمضي في مدحه له إلى أن يقول :

فيئوا لربع هواه رواد العلا   وتفيأوا ظـــل النعيم الأبرد

فهذا توجيه مقصود لجماهير الأمة إلى اعتناق المعالي ، أولاً ، ليحظى من يقرؤه منهم ليكون على شاكلة الممدوح ، وثانياً ليفيئوا إلي ربع وُدِّ محمد عبده اذا كانوا من طلاب معالي الأمور .. فالقدوة الحسنة خير وسيلة للتقدم للفرد من الناس ، وللجماهير المتعطشة إلى التقدم والتطور ..

وقد اختتم القصيدة بما يدل القارىء الحصيف على « الباعث » له على نظمها في ممدوحه . قال مخاطباً الشيخ محمد عبده :

فاسلم ودم للدين خير مؤيد — واسلم ودم للدين خير معضد

واذن فانّ الحافز الذي دعا الشاعر إلى مديح هذا الرجل هو أنه – أي الشاعر – يعتقد أن ممدوحه هذا خير مُؤَيّدٍ للدين وخير معضد له .. فهو من هذه الناحية يستحق المديح ، ويستحق الثناء ، تقديراً لمسلكه وعلمه ومحافظته على تعاليم الدين في جو مكفهر بالاستعمار ، واحتلال الديار ، وتوجيها للجمهور إلى المحافظة على الدين بالمحافظة على تقدير أمثال هذا الرجل الذي يرفع علم الدين ، بالسير على خطاه الحميدة .. ومن سار على الدرب وصل .

* * *

وحينما شارك برائعته (القافية) الرنانة في تكريم الدكتور عبدالرحمن شهبندر كان ما أشرنا اليه وأشدنا به من التوجيه والتنبيه نصب عينيه حيال مشاركته في حفل تكريم الرجل ..

إسمعه يقول :

أشرق البدر بيننا اشراقا — فأرانا أحبابنا والرفاقا

ما ظننا الزمان يسمح يوما ... بعد طول الفراق أن نتلاقى
أنّ عقد الأحباب نُسّقَ حتى ... زاده منظر الجلال اتساقا
حبذا ساعة تلافت محبا ... من سقام وأسعفت مشتاقا
حبذا حفلة أقيم بناها ... إنتصاراً للفضل أو إحقاقا
ليس فيها ما لفقته أناس ... وأقامته باطلا وشقاقا
هكذا تحمد البرية حقا ... مزهقا كل باطل إزهاقا

* * *

رُب سَعْي أصاب نجحاً وسَعْي ... عاد في الناس نجحه إخفاقا
يرفع الرّأس ذكرُه ودِ ذكرٌ ... يُطرِقُ الرأس عنده إطراقا
ومن الناس من يبيع هداه ... بضلال ليشتري الأسواقا
ذل من باع مجده وعلاه ... طمعاً بالقليل واسترزاقا
إن من شاء أن يكون عظيماً ... ألف المكرمات والأخلاقا
والألى كرموا الفضائل يوماً ... لم يدقوا الطبول والأبواقا
لم نكن ندرك الحقائق إلا ... إن تركنا الغلو وإلا غراقا
ليس كل امرىء جرى في مجال ... كان فيه المقدم السباقا

أفلست ترى معي أن الشاعر الكاظمي في هذه القصيدة كان (معلم أخلاق) ورائد وطنية شماء ، وقائد تطور وتقدم ؟.

فما يضيره بعد هذا كله إن هو كرم الدكتور الشهبندر ؟ إنه لم يكرمه ولم يُلق أمامه قلادته الشعرية الزاهرة احتفاء به لمجرد الاحتفاء ، والمديح والاطراء ، ولكنه فعل ذلك لينبه وليوجه من وراء ستار هذا التكريم وهذا التقدير لهذه الشخصية العربية البارزة ، التي يرى الكاظمي

أنها قامت بالإسهام في رفع شأن العرب ، وبعث مجدهم وحفزتهم إلى الإقدام على مجالات المجد والسؤدد :

حبذا حفلة أقيم بناهـــا إنتصاراً للفضل أو إحقاقـاً
ليس فيها ما لفقته أناس وأقامته باطـــلا ونفاقـاً

* * *

من أبت نفسه الثناء اغتصابا كان إطراؤنا له استحقاقـــا
والذي أكرم المواطن حقـاً كان تكريمـــه جزاء وفاقا
سل بشهبندر اللياليَ تَعلَمْ في سبيل الأوطان ماذا لاقى

* * *

ليس عبد الرحمن ممن إذا ما ساقـه سائق الهوى فانساقا
تلك أرواد فاسألوها تجبـــكم كيف كانت على الكرام مذاقا
صبرت نفسه وما ضاق ذرعـاً يوم رحب الآمال ضاق نطاقا
ليكن مثله العظيم جهاداً ليكن مثـله الطريق امتشاقا
لم يخر عزمــه ولا عاق يوماً سعيه دون قومــه ما عاقا
أبداً يقطع البـلاد سهولا ويجوب الجبال والأنفاقا
إن سألتم عنه وعن كل حر حيث يعيي به السَّبوق لحاقا
تسألوا عن ليوثه كل غاب تسألوا عن بدورهـا الآفاقا
فإذا ضاقت الميادين جَلـَّى في المعالي مَوسّعاً مـا ضاقا
هادماً للهوان حصناً فحصنا بانيـــاً للعلى رواقا رواقا
ما عرفنا للمجد أكثر منه مثـلا في الأنام أو مصداقا
تارة راكبا يجوب وأخرى طائراً في فضائه طراقا
حبذا طائر رأى الطوق هونا فتعالى وكسر الأطواقا

وهكذا يستبين لنا ان الكاظمي لم يكرم شخص الدكتور عبدالرحمن شهبندر لمجرد شخصه أو لنيل فائدة مادية ، أو لمجرد ازجاء الكلام وملء الفراغ بالجعجعة الفارغة الطنانة التي لا طحن من ورائها ، وإنما هو يكرم في شخص الدكتور الشهبندر الطموح ، مَعالِيَ الأمور . ومكارم الاخلاق ، ليكون الشهبندر المتحلي بهذه المزايا في نظر الشاعر وأنظار الألى قاموا بتكريمه – خير مثال يُحْتَذَى ، وقدوة حسنة للسائرين الى الأمام ..

وقد أشار إلى هذا في قوله :

والألى كرموا الفضائل يوماً لم يدقوا الطبول والأبواقا

ولم يكتف الكاظمي بهذا الفيض التوجيهي للأمة العربية ، بل تجاوز الكناية إلى التصريح ، والإشارة والتلميح الى التعبير الواضح عما يرمي اليه من هذا الهدف الأسنى فقال :

تلك سورية التي سيروها أغلقوا النهج دونها إغلاقا
حملوها ما لا تطيق وقالوا إن محل الأذلال كان مطاقا
حرموها مَوَارِداً من غناها الجم حتى تحولت إملاقا
حرموها الجمام يغمر لا بل حرموها الضحضاح والرقراقا
لهف نفسي على التي جرعوها من صنوف العذاب كأساً دهاقا
لهف نفسي على التي جرعوها الـ قتل عمداً ، والنفي والإحراقا
وسقوها السم الزعاف على الختـ ـل وأسموه بينها درياقا
لا رعى الله أنفساً لا تراعي في البرايا عهداً ولا ميثاقا
لم يخن عهدنا الأمين ولكن إئتمنا السلاب والسراقا

هم أراقوا دم العباد وراحوا   يسألون العباد من ذا أراقا ؟
خاب فأل المستعمرين فقد فا   ت زمان قاد الضعيف وساقا

وهكذا كان الكاظمي ، الآسيَ الحكيم لجراحات العرب من أدواء الاستعمار .. إنه يصور بأشعة شعره النفاذة هذه الجراح ، ويسبر غورها ويعرف حقيقة أمرها ويُحلل أسبابها .. ثم يتقدم بالعلاج والترياق الشافي للقوم فيقول لهم :

حبذا العرب لو دروا أين صاروا   فبنوا موضع الخلاف اتفاقا
حبذا العرب لو دروا أين صاروا   فأعادوا الشقاق فيهم وفاقا
علموا ليس ينبت المجد إلا   إن سقوا تربه الدم المهراقا

حقاً إن الكاظمي هنا (مؤرخ الغد) و « شاعر الغد » أيضاً ، بالنسبة لزمنه وللزمن الذي نعيش فيه من بعده اليوم وللزمن المقبل أيضاً .

إنه نظم هذه القصيدة قبل نحو خمسين عاماً .. وحال العرب اليوم حالهم بالأمس ولا ترياق لهم من دائهم العُضال إلا هذا الترياق الفعال الذي قدمه لهم الكاظمي في (جام) قصيدته الفريدة الخالدة .. إن الداء المزمن عند العرب يكمن في الخلاف والشقاق ، والدواء هو مزيج من الاتفاق والدم المهراق .. بهذين يتغلب العرب على أمراضهم المزمنة ، وبه يقهرون عصابات صهيون التي استخفت بهم دون سائر الأمم ، لأنها رأتهم كالرّمم ، فاحتلت قلب بلادهم ، بين أسماعهم وأبصارهم ، وهي تعد بمئات الآلاف ، وهم يعدون بالملايين ..

ومثل هذا الصنيع تماماً كان ثناؤه على سعد زغلول . إنه يحيي فيه البطولة والوطنية والإنسانية ومناهضة الاستعمار ، ومصاولة الفساد في

بلاده ، والعقل الراجح المدبر يقول :

يسود زغلول ولولا النهي زغلول في الأقوام ما سادا
ومَنْ حمى أوطانه واحتمى بها ومن ذب ومن ذادا

وقد تقاطرت مدائحه في سعد زغلول وتكاثرت ، حتى تمكن خير الدين الزركلي من أن يصدر بها ديواناً مستقلاً له سماه : (معلقات الكاظمي) ..

وقد اختار حكمة الجادرجي منه بعض قصائد وأدخلها في مجموعة شعر الكاظمي الثانية التي حققها ونشرها .

وعلى هذا يكون للكاظمي ثلاثة دواوين : الديوان الأول المطبوع في دمشق ، والديوان الخاص الذي طبع بعده : المعلقات . والديوان العام المتوسط الحجم الثالث الذي صدر باسم : (المجموعة الثانية) .

يقول لسعد زغلول في إحدى معلقاته :

يا سعد أهلك كرمو ك وأنت للتكريم أهل
هيهات ما لسواك عقـ ـد في أمورهمُ ، وحَلُّ

إلى أن يقول :

أنت العظيم همامة أنت الهمام الممثل
منك الهداة تعلموا إن المحرم لا يحل
والصعب إن عالجته بتتابع العزمات سهل
القول ليس بنافع حتى يزين القول فعل
حلَّيْتَ جيد الحكم حتى لا يسيء الجيد عطل
وحللت في دست الوزا رة كي يطيب بك المحل

ونستميح الاستاذ خير الدين الزركلي عفواً ، إذا نحن أدخلنا في (معلّقات الكاظمي) (داليّته) الغناء التي قالها في صديقه الكبير الشاعر محمود سامي البارودي ، فهي والحق يقال قمينة بأن تسلك في عقد المعلقات لمتانة عودها واخضراره ، وروعة جرسها ، وعلو أهدافها ، وترفعها أدبياً ومعنوياً عن السفاسف والركالة والابتذال . إنها من الشعر العربي المعاصر الحر الذي يعتز به الشعر كله والذي يستحق التقدير كل التقدير يقول :

أصبحت في هذا الزمان وحيده … وكذا أخوك البدر فهو وحيد

ما أنت إلا غصن فضل مثمر … عِزّاً وباقي العالمين جريد

أما القريض فقد غدوت أباً له … وبنوه حولك ركّع وسجود

ما جرول إما وَثَبْتَ بجرول … يوم المقال ، ولا لبيد لبيد

أنت المُرَجِّزُ والمُقَصِّد إن يكن … رجز يروق المجتلي وقصيد

هذا عكاظ وكل حكمك نافذ … اذ كل حكم دونه مردود

* * *

ويعجبني من هذه الدرة الوضاءة المتلألئة في سماء الشعر قوله يصف محموداً البارودي بعد ما ترك الوزارة :

ونشأتَ في دست الوزارة موريا … لزنادها حيث الزنود خمود

ورضعت أول درها وتركتها … وشلا ، وآخر درها تصريد

وطلبت منقطع العلاء فنلته … متيقظاً والظالمون هجود

ولنلتَ منها ما يزيدك رفعة … لو فوق ما نالت يداك مزيد

إن تنأَ عنها فالجديد مخلق … أو تَدْنُ منها فالخليق جديد

عود على بدء :

ونعود الى شعر الكاظمي في الفخريات لنأتي ببعض شواهد من هذا الشعر المطرب ، كيلا يقال : إننا ممن يلقي الكلام على عواهنه ، فنراه يقول من قصيدة :

وبي شمم ينشق الطيبـا ت ومن كان أجدع لا ينشق

ويقول :

ألم يدر أنا إن سحبنا إلى الوغى رماحاً كحيات الرمال الرضارض
هدمنا على الأسد الروابض غيلها ورضنا مصاعيب الأسود الروابض

وليس لدى شاعرنا رماح ولا بنادق ، ولا هو من أهل الميادين المزعجة الحربية فما دخل الجندية ولا صار ضابطاً من ضباطها ، كزميله حافظ ابراهيم وكسامي البارودي الذي صار وزيراً للحربية في مصر ولم يخض حرباً ولا عرف لخوضها درباً ... وإنما كانت حياته كلها سلاماً في سلام ودعة في دعة من هذه الناحية .. ولكنه (التنفيس) والتشبه بكرام القوم وأبطالهم ، في الشعر المجلجل ، على الأقل .. كما قال شاعر آخر :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فـلاح

يقول الكاظمي :

سل بي تخبرك العلا أني امرؤ عقد العلا وتميمه لم يعقد

ويقول قبل هذا البيت :

فإذا غضبت فأي قلب لم يطر رعباً وأي فريصة لم ترعد

ويقول بعدهما مادحاً نفسه مفتخراً بمكرماته الشاملة للجزيرة والعراق والعرب وسائر الأنام :

تلك الجزيرة فالتفت في تربها   هل تلق من أثر لغيري مخلد
وانظر إلى النهرين تلف بني الرجا   للقاي بينهما حرار الأكبد
واضرب بفكرك في الأنام فهل تجد   فيها كفرعي زاكياً أو محتدي

شاعرٌ وسياسيّ

الكاظمي أحد الشعراء الذين خاضوا بحر السياسة بزورقه الشعريّ وقد عني فيه بالتوجيه الحميد للعرب ، نحو وجهة نفض غبار الجمود ، والتقاعس ، ونبذ عصا الفرقة والتمسك بالوحدة الشاملة ، والبعد عن سفاسف الأمور ، واعتناق معاليها .. فسياسته الشعرية من هذه الناحية سياسة فاضلة ما عليها غبار وليس فيها التواءات ولا اعوجاج ولا فيها مغاور ولا كهوف ..

إن جماع سياسته يكاد ينحصر في إيقاظ الأمة العربية من سُباتها ، ومقارعة الاستعمار فقد دأب على إرسال الصرخات المدوية لكشف مساوىء الاستعمار والتشهير بمخازيه ، ومفاسده ، وبخداعه وعبثه ، بمقدرات الرجال والأمم ، واستنزافه الأموال الطائلة من المواطنين بشق الأحابيل تعميراً لبلاده ، ورفعا لشأن العلم والقوة والدولة والصولة فيها . ولا شيء غير هذا .

يقول من قصيدة . .

قد تمادى المستعمرون فضَلّوا	وتناسوا اليونان والرومانا
جهلوا خادعين انـــا علمنا	ان عز المخدوع كان هوانا

قــد بلونا همو فكانوا وبالًا ... وبلا الخبر كُله من بلانا

وقطعنا بهم سنينا عجافــا ... قطعوها بنـــا سنين سمانا

حملوا الرغد والهناء سرورا ... واحتملنـــا الهموم والأشجانا

يتمشون رافلــين ونمشي ... في قيود تمشي بنا رسفانا

واذا مـــا تدافعت مرديات ... دفعونا وأغمضوا الأجفانـــا

معشر عمروا الخراب ولكن ... لا خرابا أبقوا ولا عمرانا

ورموا عزنا بسهم ضلال ... فوقانا من سهمه ما وقانا

عاهدونا على الجلاء وآلوا ... أن يراعوا اليهود آناً فآنا

أي عهد رعوه ؟ أم أي وعد ... تم إنجازه لنـــا فرعانا ؟

ليس ينسى الناسون حكم أناس ... كان من أمر حكمهم ما كانا

دفعونا إلى الحضيض وقالوا : ... دونكم فاسكنوا النجوم مكانا

وتملوا بكل شيء ولكن ... جعلوا حظ أهله الحرمانا

ومن لوامع شعره السياسي تلك « التحية الشعرية » الملغومة يلفت فيها نظر الرئيس الأمريكي « ويلسون » ونظر العالم الى حالة العرب وما يقاسونه من اضطهاد الاستعمار الغربي : وقد انشدها الشاعر الكاظمي في ١٩ نوفمبر ١٩١٩ م ..

وفيها يقول عن الحرب العالمية الأولى حينما وقفت رحاها الطحون عن الدوران :

وقفت رحى تلك الخطوب فسيري ... حيث البشير يسيرُ أثر بشير

يا أنفساً يئست وعاد رجاؤها ... كالنور يظهر من خــلال ستور

ان الكاظمي هنا يصور حالة العالم البائس المضطرب اثناء الحرب الضروس ،

وعقبها..وهذا بلا ريب يُعتبر خطورة بارزة وواسعة في افق انفتاح شاعريته على العالم .. لقد اقتحم الشعر السياسي الوطني من بابه الأرحب اسوة بالشعراء العالميين البارزين آنذاك وقد مضى الى هدفه الكبير ، فلفت نظر رئيس جمهورية الولايات المتحدة إلى حق العرب المهضوم ومجدهم المهدوم وأهاب به إلى الأخذ بناصرهم في دعم قضيتهم الكبرى (نيل الاستقلال الناجز) هاهوذا يقول عن ويلسون :

ما من كبير في الورى وصغير إلا وعاد له لِسانَ شكور
كل يردد ذكر شعب فيضه يوم الندى والبذر فيض عبور

* * *

يا أمة نصر الحقوق شعارها إن قبل من للحق خير نصير
تأبى كما يأبى لها انصافها أن يعبث الشاهين بالعصفور

* * *

ولا يكتفي بالتلميح ، بل يوغل في التصريح فيقول لويلسون :

كونوا لنا عوناً على من شددوا ظلماً على الانسان كل نكير
الحرب سلم إن شروطك نفذت من غير تبديل ولا تغيير
والسلم حرب ان تحيّز ذا ، لذا أو سير للغايات شر مسير

ويعطف على مساعي ويلسون الإصلاحية فيقول له :

أمُقَصّراً عمر المظالم في الورى عمر الثناء عليك غير قصير
إني أعيذك أن يُضلّكَ طامع مَرِنٌ على التضليل والتغرير
فعليك يا من جدّ يطلب غاية ان تحذر الوقعات في المحذور

الرمل غير المنحنى والظاهر المكشوف غير الباطن المستور

ما أروع هذا التعبير العربي المحض البسيط السهل الممتنع يُساق في مجرى السياسة العالمية الثعلبية الماكرة التي شبت وشابت على الخداع والتضليل والتزييف والتزوير :

الرمل غير المنحنى والظاهر المكشوف غير الباطن المستور

خيوط من الشعر القديم في شعر الكاظمي

الدارس لشعر الكاظمي يجد فيه خيوطاً كثيرة من نسج الشعر العربي القديم ، وأقصد بهذه الخيوط تلك الألفاظ التقليدية التي كانت في الشعر العربي في جاهليته وفي صدر الاسلام وفي الدولتين : الأموية والعباسية .. وهو إذ يأخذ هذه الألفاظ ويستعملها في شعره فانه يعرف كيف يحسن استعمالها . انه يضعها في المواضع الملائمة التي تنسجم معها .. نذكر من تلك الألفاظ : الركب . المطايا . النصول . الحزون . السهول . الربوع . الأيك . السرب . الأسود . الظباء . الجداء . الوخيد . الذميل . النياق . الطلول . الصارم . الخذم . الضال . السلم . الذئب . الجزع . ذو سلم . الغور . النقاء . الخليط . البغام . الغيث . المنسجم . الديم . الرمل . عالج . الأكوار . الخ . وهكذا نلمس من قراءة شعره أنه كما قال فيه عبد القادر المغربي : (ينظم الشعر على طريقة شعراء عرب الجزيرة من حيث متانة الأسلوب وجزالة الألفاظ) . وكما قال رفائيل بطي في شعره : إنه (مبني على غرار قدماء الشعراء الذين اكتنزت حافظته بروائعهم ، فاحتذاهم في الطراز ، ولم يقلدهم في معانيهم ، وإن تميزت ألفاظهم وتعابيرهم في نسج قصائده ، فذلك محصوله من اللغة

وفصيح العبارة) . وممنى ذلك بالإجمـال : أنه طعَّمَ شعره بأشعار القدماء لفظاً لا معنى .

وقد استعمل حشداً من تعابـير شعراء الجزيرة القدامى في مرثيته لسعد زغلول :

أرأيت كيف نوى الرحيلا؟	أرأيت كيف سرى عجولا؟
أرأيت كيف الركب ما	ل مخالفاً منا الميولا ؟
حثَّ المطايا شائيـــا	تلك التي شأت النصولا
وحدا ، لهُنَّ فأصبحت	سهل الحزون لها سهولا
مالـــت إلى كل الجهات	كأنهـــا شربت شمولا
أيدي المطـــايا خففي	يصل الوخيد به الذميلا
وترفقـــي بثرى حمى	أمسى الرفاق بـه حلولا
حملوا الجلال وأد لجوا	يا راحلين ضعوا الحمولا
يا راحلين تريثوا	وقفوا على الوادي قليلا
تلـك الذبالة غودرت	في الغيهب الداجي ذبولا
تلك الربوع المشرقات	من السنى أمست طلولا
من كان ينزل قفرها	ويرد موحشها أهيلا ؟

الى آخر القصيدة ..

فأنت تجد في هذه الأبيات المستلة من القصيدة البالغة ٢٨ بيتاً تعابير شعراء الجزيرة بكثرة :

الرحيل . سرى . الركب . المطايا . النصول . الحداء . السهل .

الحزون . الشمول . الوخيد . الحمى . الحلول . أدلجوا . يا راحلين .
الحمـول . الوادي . الذبالة . الغيهب . الداجي . الذبول . الربوع .
الطلول . القفر . الوحش الأهيل ..

ومن تشبيهاته العربية القديمة قوله في محمد عبده ..

كالرمح إلا أنه لا يلتوي   والسيف إلا أنه لم يغمد

أنّاتُ الكاظميّ وشكاواه

الأنّاتُ والشكاوى كثيراً ما تنبثق من البؤسِ في الحياة ، وتَراكُمِ الهموم على القلب ومُعَاكَسةِ الزمان ، وبني الأنسان . والأناتُ والشكاوى مبثوثة في شعر الكاظمي .

يقول الشاعر القديم :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فقد كانت حياة الكاظمي ليلاً مدلهماً ، هاجمته فيه ظروف الزمان القاسية أو هاجمها هو ، فأقام خطّ دفاع انقلب إلى هجوم مضاد عليه ، ما أطاق له صبراً في وطنه الأول ، فهرب إلى حيث تخيل النجاة والأمان والرخاء .. فرّ من شرق الأرض العربية — العراق — الى مغربها — مصر — .. ولكنه في مصر — وهو الغريب النازح والشاعر القَرْم والصنديد الذي لا يهادن على مضض — لاقى أيضاً عنتاً وجحوداً ، ولاقى حسداً وحقداً ، من بعض من كان بامكانهم أن ينقذوه وأن يرفعوا شأنه لولا حدة في لسانه ، وقوة في بيانه وبعض البلاء موكل بالمنطق .. ولكنه كان إلى ذلك رقيق الجانب ، وفيّاً وحفيّاً واجتماعياً ، ولم يكن انطوئياً ميالاً للتزمت والنّأيِ عن المجتمعات الصاخبة .. فأوجد له بذلك ثلة

من أصدقاء خُلَّص ارتضوا مودته واطمأنوا إلى صداقته ، واجتذبتهم اليه جاذبية التعلق بالأدب والتشبث بالشعر القوي الرصين . فآسوه وواسوه وضمدوا بعض جراحاته القديمة والحديثة ، وحالوا بينه وبين طغيان طوفان جراحاته الحديثة عليه طغياناً كلياً ، فعاش في مصر عيشة أقرب ما تكون إلى الكفاف .. فلما ذهب جل أولئك الأصدقاء المؤازرين له ، إلى غير رجعة ، وَوُورُوا التراب ، انكشف حال صاحبنا وتداعت عليه همومه من كل جانب ، وتجمعت عليه شياطين البؤس والوحشة والفاقة تؤزه أزّاً ، وتهزه هزّاً ، من كل ناحية ، فما استسلم حتى أسلم الروح .. ومضى مأسوفاً عليه بعد ما قارع الدهر سبعين سنة شمسية ، وكان أولها وأقلها في العراق وآخرها واكثرها في القاهرة المعزية .

ومن شكاواه قصيدته التي بعث بها من القاهرة الى الملك عبد الله مداعباً صديقه رئيس ديوانه حامداً الوادي :

أشكو إلى مولاي ما رابني	ولست أعـــدوه بشكراني
مُحبَّبٌ تحـــلو أحاديثه	اذا جنى الحنظـــلة الجاني
ما زال يدنيني حـــتى اذا	تملك المهجـــة أقصاني
عاديتُ كل الناس من أجـله	فصادق الناس وعاداني
خادعني حيناً وخادعته	وقبل أن أغريه أغراني
أثلج قلـبي بمواعيده	لكنه بالخلف أصلاني
يعترض الرد بإعراضه	ويخلف الوعد بإمعان
ويأكل الحق كما يشتهي	ويطبخ العذر بإتقان
لو كان قلبي بين أضلاعه	ما قابل الوصل بهجران

لو عرف الحب وأسبابه أيقن باللوعة إيقاني

* * *

إن قيل في الذكر له (حامد) قلت : نعم (حامد نسيان)
وكيف لا أذكر خلات من يذكرني حيناً وينساني
يقول من شاهده ما اعتدى ولا سعى يوماً لحرماني
لو وقف الرأي على مكره لقال : ذا فارس فرسان
أستغفر الله إذا لم أزن فعاله الغُرَّ بميزان
مُواعِدٌ لكنه مسرع ومنجز لكنه وان
إنجازه جر إلى أحقب ووعده يُدْرَكُ في آن
لا عيب فيه غير فرط الحيا ونفعه لكل انسان
وهو لمولاه اذا داهمت جائحة أقرب قربان
وهو على ما فيه من جفوة أخلص أحبابي وخلاني
إن كان قد أذنب أو قد جنى فالذنب ذنبي وأنا الجاني
إني أقاضيه ولا أكتفي وحبذا لو كان قاضاني

* * *

فاحكم له أو لِيَ فيما ترى واجْزِ المسيئين بإحسان
واقض على المذنب أو جازِهِ صفحاً وعاقبه بغفران

* * *

لولا « رباب » و « نزار » وما يبتغيـــان ويريـــدان
ما كان أغناني عن حامـــد عن حامد ما كان أغناني

ورباب ونزار[1] هما ابنا الشاعر اللذان أعرب عن التصاقه بصداقة حامد الوادي من أجل تأمين ما يريدان ويبتغيان .. لحاجته إلى العون في هذا الأمر وهذا المطلب .

* * *

ومن شكاواه اللاذعة قوله :

يرى لديّ الراؤون كل غنى   وليس عندي مما رأوا فلسُ
أحاول السعد أن يلوح وير   تد زماني وكله نحس
عليك مني السلام يا أملي   رب رجـــاء قربه اليأس

(١) انبأني الدكتور محسن جمال الدين ان حكمت الجادرجي ناشر الديوان الثاني للكاظمي هو زوج ابنة الكاظمي (رباب) وكانت شاعرة ، ومن شعرها :

ادبي لدى الأيام جرمي   وجريرتي في الـــدهر علمي

وقد ذكر الدكتور محسن جمال الدين شاعرية رباب وأورد البيت المذكور في المحاضرة التي القاها على طلبة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة ص ١٥ طبع مطبعة دار قريش للطباعة والصحافة بمكة سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩

وفاء الكاظمي

ومن شيم العربي الأصيل الالتزام بشيمة الوفاء .. الوفاء للأصدقاء .. في مسراتهم واحزانهم في افراحهم وفي اتراحهم .. والوفاء للأوفياء لهم وأصدقائهم وأقاربهم .. وهذا الخلق الرضى قد أخذ منه الكاظمي بنصيب وافر .. لقد كان تلميذاً باراً للشيخ جمال الدين الأفغاني ، حينما قدم العراق ، واخذ عنه قسطاً من العلوم ، واخذ عنه التوجيه في مقبل حياته ، فكان وفياً لعهده ، وفياً لتلمذته له .. وحينما هاجر خائفاً يترقب ، من بغداد إلى مصر قاده خُلُق الوفاء لشيخه ، إلى الانتساب لأكبر تلاميذه في مصر .. وهو الشيخ محمد عبده . فلازمه ملازمة الظل ، وأضفى عليه بروداً موشاة من الثناء والتقدير المعطر ، وظل على تلك الحال لا يريم عنها حولاً ، حتى توفي الشيخ ، وبقي الكاظمي شبه يتيم ، والتفت فوجد أبرّ تلاميذ محمد عبده من رجال الحكم والسياسة : (سعد زغلول) فأحبه ومدحه ، وأقر له بالزعامة في بلده ، وقام بدعاوة شعرية كبيرة لزعامته ، ومكث على هذا المبدأ معه لا يريم عنه حولاً حتى توفي سعد . وحينما توفي محمد عبده رثاه بغُرّ القصائد التزاماً لخلق الوفاء المتأصل فيه ، وكان شأنه مع سعد زغلول كذلك ، بعد مماته . فقد أرسل فيه الرثاء السيار مسجلاً مزاياه ومواهبه .

وصادق في مصر نفراً ، منهم السيد علي يوسف وسليم سركيس فكان مثال الوفاء لهما في أفراحهما وأتراحهما ، ولم تغيره ظروف الحياة حينما تغيرت على السيد علي يوسف بل بقي وَفِيّاً له ، مشيداً بمزاياه وفضائله على الأمة العربية والإسلامية .. وكان لسان حاله يقول دائماً : ألا اقتدوا بعلي يوسف ، الرجل النبيل الماجد ، البطل الصنديد ، العظيم الذي ذلل الصعاب ، وكان في حياته مثالاً للرجال البررة المصلحين ، بقلمه وبأدبه النفسي والدرسي ..

وإذا كان المتنبي قد باهى – شعريًّا – بالوفاء في قوله :

خُلِقْتُ ألوفاً لو رجعت الى الصبا	لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

فان الكاظمي قد امتثل فعليًّا وقوليًّا هذا الخُلق ، وأخلص فيه إلى آخر حياته .. وقد عبر عن هذا المعنى تعبيراً عَفْويًّا في قوله :

أحبابنا ! إن لكم عندي يداً	لا تقرب الأيدي إلى إفنائها
إني أرى الشكر لكم فريضة	لكنني أعجز عن أدائها
وليت شعري ما الذي أعده	لمنة ولست من أبنائها
وتعظم المنة عند عاجز	يقصر طول الدهر عن جزائها

ويعبر عن هذا المعنى تعبيراً عميقاً في قوله :

طبعت على رَعْيِ العهود وإنما	عليّ رعاء العهد إحدى الفرائض
وإن نقض الخلانُ عهدي فإنني	لعهدالهوى - إي والهوى - غير ناقض

ومن وفائه للأصدقاء ما تدل عليه قصائده إلى صديقه في الهند حينما زارها قبل شخوصه إلى مصر .. وكان صديقه هذا في حيدر آباد ركن وهو الشيخ محمد المازندراني، الذي عاشت صداقة الكاظمي له طرية وندية طيلة حياته

ونحن نراه لا ينساه مطلقاً ، فانه كان بعث اليه أولاً من مدينة لاهور قبل مجيئه إلى مصر بقصيدة تفيض وداً وإخلاصاً .. يقول :

أيهـا الساري إلى (دكن)　　　سر إلى ذلك الفضـاء الرحب

وقد بعث إليه بقصائد تحية من مصر أيضاً ، ممـا يدل على شدة وفائه لأصدقائه ، مهما شطت بهم الديار ، وبعد المزار .

وصف الكاظمي

قل أن تجد في شعر الكاظمي الذي بين أيدينا وصفاً لمظاهر الكون الطبيعية[1]، كما اعتاد معاصروه من الشعراء .. ولعل سبب ذلك راجع إلى ظروفه القاسية ، فلم يدع له القدر وقتاً يستجلي فيه جمال الكون ، ويصف زرقة السماء والماء ، وخضرة الزرع وحمرة الورد وأريج الزهر ، وهذا مع انه قضى كل حياته في أجمل بقاع العالم العربي في مناظر ريفية خلابة وفي طبيعة أرض وسماء . ففي مستهل حياته ولد ونشأ ببغداد بين أحضان دجلة والفرات في الأرض السندسية والزوارق .

وفي وسط حياته إلى آخرها أمضى عمره في القاهرة بين الحدائق الغناء والمياه الدفاقة على شواطيء النيل الفياض . لقد انصرف عن وصف جمال ذلك كله ، بوصف الجمال البشري فكان كشعراء الجزيرة القدامى في غزلياتهم فله غزليات فياضة بالسحر الحلال وله ذكريات مورقات في بغداد .

---

(١) يقول واضع مقدمة ديوان الشريف العقيلي ، وهو الدكتور زكي المحاسني في مقدمته : (وأشبه العقيلي في حب الطبيعة وتمشق جمالها وفتونها بابن خفاجة الأندلسي) فجعل تأثير الأرض في الشاعرين هو الذي جعلهما في أدبنا متفوقين بارزين، فان هذه الظاهرة على ما رأينا قد خلا منها شعر الكاظمي تقريباً مع انه ولد بين نهرين وعاش على ضفاف النيل. ولكن لعل لحالة المعيشة أثراً في حالتي الشاعرين سلباً وايجابا .

على أن الدارس لشعره يبدو له أنه « نواسيُّ الهوى » على ما تنطق به بعض غزلياته . وقد وجدتُ له ، بيتين اثنين وصف بهما الجمال الطبعيّ فرأيت إثباتهما هنا قال :

والشمس ترنو من فروج مجامر ... لحو الربيع بناظر فتان
ومعاطف الأزهار تسرع في الرُّبا ... ميلاً وراء خطى النسيم الجاري

ويبدو لي أن هذين البيتين يطلان من بعيد على قول أبي تمام :

يا صاحبيَّ تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تُصوَّر
تريا نهاراً مُشمساً قد زانه ... زهر الرُّبا فكأنما هو مُقمر

اندماج الكاظمي في مصر

لولا قصائد متناثرات في ديوانه - المجموعة الثانية - عراقية المحتد ، ولولا معرفتنا الجازمـة بأنه عراقي الأصل والمولد والمنشأ ، لقلنا إنه مصري صميم .. وذلك إذا أجلنا النظر في أغلب قصائد ديوانه ..

لقد اندمج الكاظمي في مصر اندماجاً شبه كلي . وساعده على ذلك فيما نرى ، اقترانه بمصر وإنجابه فيها .

فهو إذا مدح أو رثى زعيماً أو كبيراً مصرياً ، يمدحه على الطراز والمنهج وربما الوزن والقافية التي يمدحه بها شاعر مصري صميم معاصر له ، ولو مُزِجَتْ (مصرياته) في المديح والرثاء والوصف لمصر وأهل مصر - بمصريات شاعر آخر مصريّ صميم كحافظ ابراهيم مثلاً لما وُجِدَ الفرق بينهما في التفكير والمنهج وتمجيد مصر .. وربما طغت شاعرية الكاظمي في هذا على غيره من شعراء مصر بما حمـله معه من العراق إلى مصر من الأسلوب الشعري العربي المحض الذي خيوطه كلها من نسج شعراء جزيرة العرب القدامى .. لذا كان شعره يتميز عن شعرهم من هذه الناحية . يضاف إلى ذلك انطلاقه في أجواء اختص بها من حيث السهولة والفيضان وطول النفَسِ سواء أكان مُتَحَفِّياً أم مرتجلا .. وهذه الظاهرة يندر

وجودها في شعراء مصر المعاصرين له ، ويقرب منه فيها محمد حافظ ابراهيم ولا يصل فيها إلى شعره . أما شعر شوقي فهو مع جزالته تبرز فيه خصيصة الاستعلاء والضخامة المعنوية . وقد ذهبت بشعر خليل مطران ريح العصر إلى النأي قليلاً عن روح الشعر العربي الأصيل . . يقول الكاظمي في سعد زغلول :

أنت طودنا يوم نعتصمْ
أنت ليثنا والظُّبا أجمْ
أنت نجدة يوم نصطدمْ
أنت نهجنـــا يوم نعـــتزمْ

* * *

مصر مـــوطن خالد النِعظَمْ
منبـــع الثّرا مصرع العدمْ
روضها نَـــدٍ وردهـــا شبمْ

* * *

جَمَّعَ السنا شملُهـــا ولمّ
في شبابها حكمة الهرمْ

* * *

إيـــه يا بني مصر لا جرمْ
أنتمو بنـــو النيل والهرمْ
أنتمو ذوو المجد والكرمْ

أنتمو أُولو السيف والقلمْ
كل واحـد منكمو علمْ

أو ليس في هذا الشعر اندماج كلي في مصر ؟. إن من يقرأ هذه القصيدة ولا يقرأ أو لا يعرف اسم ناظمها ليعتقد أنه من بني مصر الخلّص وربما اعتقد مع ذلك أنه (وفدي) المبدأ والنزعة السياسية فهو من (حزب) سعد .. إذ نراه يعبر عن هذا كله تعبيراً دقيقاً حفيـاً ، وهكذا يكون الاندماج الشامل ..

ومن براهيننا على تقمص الكاظمي لشخصية المصري شعريّاً ونفسيّاً قوله :

يا نيل أنت أبٌ لنا وأبو العشيرة لا يُذَلُّ [1]
من كنت أنت أباً له فبنوه قد نهلوا وعلوا
لبنيك أمثال ومـا لأبيك في الآباء مثل
فإذا هم نسجوا على منواله عزوا وجلوا

لقد جعل نفسه واحداً من (أبناء النيل) .. تماماً كما يرى نفسه (حافظ ابراهيم) و (أحمد شوقي) . على أنه – والحق يقال – لم يَسْلُ مطلقاً عن موطنه الأول – العراق – وكيف يسلوه وهناك حكمة شعرية خالدة تقول :

---

(١) كانت مصر في اوائل هذا القرن الى اواسطه كما وصفها السيد رشيد رضا في كتـــابه « المنار والازهر » ،– « امان واطمئنان وسعة في الرزق وجميع مرافق الحياة » ولهذا اجتذبت اليها فحول الرجال من شتى الاقطار : كالكاظمي والسيد رشيد رضا وغيرهما .

وَحبَّبَ أُوطانَ الرجالِ اليهمو مآربُ قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

وها نحن أولاء نراه يجهر بهذا الحنين فيقول :

قالوا : سلا أوطانه وأخو الصبابة ليس يسلو

* * *

وجِواك يا وطني له ببواطن الأحشاء شعل
لولا الضنى وصروفه لشآ اليك الذكرَ رِجْلُ
ذكراك يا وطن الصبا ذكراي أرحل أو أحل

فهو هنا يصرح بأن ذكرى وطن صباه – العراق – محفورة في نياط قلبه ، بإزميل التقدير الجسيم والحب الصميم الذي لا يريم ولا يرين ولا يريب ..

* * *

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أن من مدائح الكاظمي ما لا يخلو من هدف ماديّ .. وعللنا ذلك بأنه غريب الدار ، وليس له مورد رزق ثابت ، سوى مـا تدره عليه شباة قلمه ، ولذا يضطر بعض الأحيان إلى امتشاق هذه الشباة لامتصاص هذا المورد من هذا المصدر ، ليتمكن من أن يقوم – على ضوء ما يناله – من الحياة وسد خلة أسرته ، ثم من أداء مهماته الكبرى في حفز الهمم إلى المعالي ودفع مركبة الأمة العربية إلى الأمام بحُدائه الجذاب ، ودعوته المؤثرة ، من طريق شعره الوطني المتأجج حماسة والمضطرم قوة وأسرا وإشراقا .

ومن هذا الباب قصيدته تلك التي مدح بها صديقه أحمد شوقي ، ولا بد أنه نظمها قبل أن يستفحل الشر بينهما ، وقبل أن يُكَشِّرَ له أحمد شوقي عن أنياب الليث الهصور .

يقول الكاظمي مخاطباً شوقيا :

أدركت أحمد قصدكْ وشدت في الأفق مجدكْ

ويمضي إلى أن يقول له :

قُدْتَ القريض فأضحت قلوب قحطان جندكْ
وقد تنبأت لما هزت يد الشعر مهدك
غذاك رب بلاد غذى أباك وجدك
فذقت شعرك شهداً وذاق شعرك شهدك
ورحت تكساه بُرْداً وراح تكسوه بردك
وجزت حد ظنون وما تجاوزت حدك
وعاد يا شاعر النيل شاعر النيل ندك
لقد تبناك لكن أقصى أباك وجدك
أمر الفصاحة أبقى صك الإمارة عندك

وهذه القصيدة لم يقدر لها أن ترى النور الا بعد وفاة الكاظمي ، حيث يقول ناشر ديوانه الثاني في هامش هذه القصيدة : (لم نجد من هذه القصيدة غير هذه الأبيات الناقصة ونعتقد أن الفقيد كان يود إتمامها ، ثم عدل عن ذلك لأمر ما) . إذن فهي مسودة قصيدة لم تكمل ، ابقاها الفقيد لديه ، لأنه تبين أن الذي مدحه بها ليس أهلاً ازفافها اليه ، فقد ناصبه العداء ووقف في طريق رزقه وشهرته ، وحال دون منح

الخديو عباس الثاني راتباً مقطوعاً شهرياً له ، ولذلك طوى القصيدة ولم يكملها ، فبقيت « مشروع قصيدة » لم يقدر له التنفيذ ولا الخروج إلى حيز الوجود حتى أخرجها الناشر فيما بعد ، للتاريخ ..

وعلى غرار زملائه شعراء مصر البارزين وحدهم تقريباً إذ ذاك في العالم العربي .. سار الكاظمي خطوة بخطوة في (تحياته) و (مديحياته).. فمدح كثيراً من رجالات مصر ورثاهم .. غير مَن ذكرنا . وكان منهم أحمد لطفي القانوني المصري .. ووسيلته إلى كل هذا أنه شعر نفسياً ووجدانياً وأدبياً بأنه بات من (أبناء مصر) فعليه إذَنْ كشاعر مرموق من شعراء مصر واجب الإشادة بفضل أبناء عمومته ووطنه وتقديرهم كلما طرأت مناسبة أو خلق هو المناسبة ..

وقد أعرض إعراضاً كلياً عن رجال وطنه الأُول من هذه الناحية .. فلم نرَ له في هذا الديوان أثراً من آثار الإشادة بهم ، اللهم إلا طالب النقيب [1] الذي كان ألقى أمامه قصيدة تقدير لامعة في الحفل التكريمي المقُام له بمصر ..

* * *

لقد (تمصر) الكاظمي بمعنى الكلمة . وما كان لشاعر مصري صميم أن يشيد بغير شعراء مصر وأدبائها وزعمائها ورؤسائها ، ولهذا السبب القويّ ولهذا الحافز المعنوي الراسخ في أذهان أدباء مصر وشعرائها ، الذي (تقمصه) الكاظمي عَفْوياً أو مصلحياً رأيناه يهمل كل الإهمال ذِكر بني وطنه

---

(١) طالب النقيب زعيم سياسي عراق تولى الوزارة في بغداد. ولد سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢م في البصرة وتعلم بها وتوفى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م «الاعلام للزركلي» .

– العراق – واستقلالهم وكفاحهم لنيل هذا الاستقلال ، فلم يذكر يسين الهاشمي ، ولا العسكري ولا فيصلاً ولا غازياً وحتى العلماء الكبار والأدباء الذين يموج بهم العراق ، كالألوسي والزهاوي والرصافي والحبوبي ومهدي البصير قد استغنى عن ذكرهم كل الاستغناء بذكر أضرابهم في مصر [1]. وإذا مجد شعراءُ مصر وكتّابُها مكانة المجاهد البطل : (عبد الكريم الريفي) رحمه الله ، لمقارعته الأسبان ذوداً عن حمى دينه ووطنه حينذاك .. فإننا نجد الكاظمي يلج هذا الباب ، كما يلجونه ، ويدعو إلى مؤازرته ومعونته كما يدعون اليها .. فيقول من (عينية) :

إذا استعان زعيم الريف حق لنا … أن نبعث الشكر للغيب الذي همما

ويعقب على ذلك مباشرة بأن مصر سبقت غيرها في الإحسان فيقول :

لئن شأت مصر بالإحسان واندفعت … فكم شهدنا لها يوم النـّدَى دُفـَعَا

إنه حتى في حثه على مؤازرة عبد الكريم الريفي لا ينسى وطنه الثاني مصر ، فيضعها في مقدمة صفوف العاملين والمحسنين من الأمة العربية . وهكذا الحب ، وهكذا الوفاء ، وهكذا (التمصر) [2] .

---

(١) هذا التحليل النقدي موجه الى ديوان الكاظمي الثاني الذي اطلعت عليه أولا . اما ديوانه (المعلقات) فهو مقصور على سعد زغلول ، وديوانه الأول الذي اطلعت عليه فيما بعد يسير في الخطة ذاتها على وجه العموم .

(٢) التمصر للنازح الغريب الى مصر ، ليس بالامر السهل ، فمن طبيعة المصريين أنهم انما يقدرون من كان مصرياً فقط سواء أكان عالماً ام حكيما ، وخاصة من كان منهم أديباً شاعراً او كاتباً . فكيف تسنى للكاظمي وهو العراقي المهاجر الى مصر ان يشعر بهذا الشعور في التمصر الكلي الشامل ؟ اغلب الظن انه كان يداري الموقف بظهوره بمظهر المتمصر المخلص ، ليسلم من عقارب النقد والتجريح ، وقد ساعده على اتخاذ هذا الموقف زواجه بمصر وانجابه فيها .. وقد رأينا من هو اعلم منه واقرب داراً الى مصر : السيد رشيد رضا يتبرم من (أن بعض المصريين كان ينظر اليه كأنه دخيل على مصر ، لأنه لبناني الاصل) . والخلاصة ان المقيم في مصر – كما شاهدناه قبل السبعينات من هذا القرن الهجري يشعر دائما بالغربة وعدم الاندماج مع اهلها .

إن أية مناسبة من المناسبات تجره إلى أن يكيل المديح لمصر جزافاً وما له لا يفعل فقد احتضنته مصر وهو الوفي الشديد الوفاء للأصدقاء..

وقد خرج قليلاً وربما أخيراً عن هذا الخط الذي رسمه لنفسه . فنراه يمدح من كانت مصر غير راضية عنه يومئذ .. ونعني به الملك حسين ابن علي .. كما مدح نجله الملك عبدالله ولم يشر من قريب أو بعيد إلى الملك فيصل بن الحسين ، كما مدح عبد الرحمن الشهبندر من وجوه سورية وزعمائها .

والخلاصة أنه انطلق آخر الأمر من قيد (التمصر الشعري المحض الشامل) .. إلى آفاق أخرى ، ولعل له في ذلك عذراً وأسباباً وبواعث من أهمها أن الحاجة أم الاختراع ...

وَطنيّاتُ الكاظميّ

لا أعتقد أنني مبالغ اذا قلت : إن ُجلّ قصائد ديوانه قصائـــد ومقطوعات وطنية .. إما وطنية في كلها ، أو وطنية في قلها .. بل إن اية قصيدة من قصائده مهما تكن في غزل أو مديـــح لا تخلو من لمحات وطنية خفية أو متاججة . وأعرف قصيدة مسهبة له بلغت أبياتها قرابة مائة بيت كانت كلها (عود ثقاب) لإشعال نيران الوطنية في صدور الرجال الذين منوا بالاحتلال أو الحماية ..

في هذه القصيدة يقول :

قد ذكرنا مجدنـا العذب الرواءْ ... وانثينـــا نندب العذب الرواءْ
وكتبنا عنـــه تخواف العدى ... نلفت الطرف لخافيه اشتفـــاءْ
أيها المجـد تراجـــع وأقم ... واقصر اللبث علينـــا والثواءْ
لا تكن مغترباً عن عصب ... أصبحوا منك جميعاً غربـــاءْ
هذه الأوطان تدعوك فعـد ... وأعـــد في أهلها ذاك البهـــاءْ
لا تدع عين العـدى تنظرنا ... نظر الغرْب إلى الشرق ازدراءْ

ثم ينعي على الشرق فراغه وتبجحه .. فيقول :

كلنا نلهج بالعلم ولا ... أحد منا يباري العلماءْ

ليس للفضل نصيب عندنا　　غير أن نعرف منه الفضلاءْ
ندعي العلم ولو أنفسنا　　أنه أنصفتنا لدعتنا الجهلاءْ
علماء الأرض قوم علموا　　أن في الأرض نعيماً وشقاءْ
ما لنا نحن ضعفنا وقووا ؟　　أو لسنا كلنا طيناً وماءْ ؟

* * *

وما دمنا قد ذكرنا (الوطنية) و (الوطنيات) في الشعر ، فان (المعلقة الكاظمية) الأولى في هذا الروض الرحب الأريض هي قصيدته التي مطلعها :

سيروا بنا عنقاً وشدا　　سيروا بنا ممسى ومغدى

فهذه القصيدة العصماء النابضة بالوطنية والمفعمة بالإبداع والإطراب ، والحائزة لكل وسام اعجاب في مبناها ومعناها ، وفي شكلها وفي وزنها وقافيتها ، تجيء في طليعة طلائع شِعْره الوطني الذي قاله وهو في أوج الحماسة الوطنية الشماء .

بل اني لا أبالغ إذا قلت : انها تأتي في الصف الأول والممتاز بين أشعار الوطنية في عالم الشعر العربي الحديث أجمع .

والواقع ان قوة رنين هذه القصيدة ، وان انسجامها وتدفق معانيها وجلجلة قافيتها تجعلها في منتهى البيان الشعري الساحر الأخاذ .

لكأنها جوقة موسيقية تعزف للجنود الأبطال لحناً ساحراً يجعلهم يتراكضون إلى ساحة الوغى ويترامون في أتونها المضطرم فرادى وجماعات.

والواقع الملموس أن الكاظمي قد وفق فيها كل التوفيق ، وأنا على

كثرة ما قرأت من الشعر الحماسي الوطني المعاصر لم أجد ما يماثلها في هذا المجال ، ولا ما يأتي في ميزانها ، وانّى أن يرجحها أو يأتي فوقها .

والمتأمل الواعي لهذه المعلقة يجدها من القوة بحيث لا تقل في مبانيها وفي أسْر معانيها عن الشعر الجزل الذي كان فحول شعراء العرب ينظمونه في فن الحمـــاسة والتحميس إلى الحرب وإلى البطولة واختراق صفوف الأعداء . وهي في هذا الباب (مُجَلّيَةٌ) على كثير من قصائد العصر فيما يبدو لي ويتراءى .

ومن آيات امتيازها على كثير مما عداها من الشعر العربي الوطني الرصين المعاصر ، أن الأديب العربي الكبير السيد محب الدين الخطيب وهو (الناقد الخبير) قد غَرْبَلَ الشعر العربي المعاصر وفلاه تفلية العارف الخبير ، فالفى (القصيدة الوحِدة) في الشعر الوطني التي بلغت ذورة السمو والشموخ هي قصيدة الكاظمي هذه .. فاثبتها بمقدمة خاصة في الجزء الأول من موسوعته الصغيرة الشهيرة : (الحديقة) وكانت المقدمـة التي كتبها لها في صحيفة خاصة قبلها مباشرة هي قوله : (سيروا بنا لأبي المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي .. نظمها يوم ١٩ جمادى الأولى ١٣٣٧ ﻫ) .

وشيء أخير اقوله عن هذه « المعلقة المذهبة » وهو امتيازها بالجزالة المطعمة بالسهولة والانسياب والتدفق والحلاة بالعمق وغزارة المادة والارتفاع الى مستوى الموضوع العظيم الذي حيكت بردتها الموشاة فيه وله ..

وهناك بعد نَشْرِ هذه القصيدة الخالدة بصفحات عديدة جادت لنا (الموسوعة الخطيبية) : (الحديقة) في جزئها الأول ، بقصيـــدة

شوقي : (من مصر الى الأندلس) ولكن يلاحظ الدارس المتأمل الحصيف أن محب الدين الخطيب لم يكتب لهذه القصيدة الشوقية الرائعة مقدمة تعريفية دقيقة كالتي كتبها لقصيدة الكاظمي بل اكتفى بتسطير عنوانها المذكور على صفحة خاصة ونعني بالقصيدة قصيدة احمد شوقي التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي ... أذكرا لي الصبا وأيام أنسي

هذا ويجمل بنا بعد ايرادنا إلمامة حيال التعريف بمكانة قصيدة الكاظمي : (سيروا بنا) – ان نوردها بتمامها ، ولعل من حوافز هذا الإيراد الكامل لها أنها صالحة كل الصلاح لهذا الزمان الذي نعيش فيه . وفيها لمحات خالدة عنه ، وفيها توجيهات سديدة ، وتنبيهات موفقة إلى قومه العرب بعد النكبة الفلسطينية في يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ م .

يقول في القصيدة يخاطب العرب سنة ١٣٣٧ هـ .

لا يقعدنّ بعزمنا ... يومٌ يرينا الهزل جِدّا

ويقول لهم :

من لم يعز بموطن ... حر ، يكن للذل عبدا

ويقول لهم :

سيروا نذب عن الحمى ... ونرد عنه المستبدا
نحمي حمى أوطاننا ... ونصونها غوراً ونجدا
ونرد عنها من عدا ... ظلماً عليها أو تعدى
سيروا نؤلف شملها ... ونعيدها عقدا فعقدا

* * *

ويقول :

أوطاننا أرواحنـــا بل إنها بالروح تُفدى
أو يستعاض بندهـــا من ذا رآى للروح ندا ؟
أبداً نطالب بالحقـــو ق حقوقِنا أو نستردا
أبداً نجاهد دونهـــا ونـكافح الخصم الألدا
ونصد ، عنها من نوى أوهم يومـــاً أو تصدى

ويقول موجهاً ومنذراً ومحذراً قومه العرب :

أخذ الأمانَ من الزمـــا ن من تأهب أو أعدا
فلكم لـيَـالٍ قد تجَلّت ثم عادت بَعْدُ رُبـــدا

* * *

ويقول منبهاً ومرشداً :

يا قلب كن حجراً إذا مـــا قلبوه كان صلدا
من لانَ للخطب الشد يد توقـع الخطبَ الأشدا

* * *

ويدعو قومه للثبات وعدم اتخاذ الجزع والهلع مطايا ذُللا تهبط بهم الى دركات الهلاك والدمار :

يا قلبُ لا تجزع فقـــد بلغ المنى من كان جلدا
لا يأخـــذ الحدثان من كان في الحدثان فنـــدا

ويرفع لهم في خواتيم معلقته المتوهجة ، علم الوحدة الصادقة ،والمركزة بالعلم العميق الذي يبني ما هدمه الجهل القاتم :

سيروا قواصد للمـــني أو تبلغ الأوطان قصدا

وترى البلاد جميعهـا علماً طويل الظـل فردا
يا حبذا العلم الذي إنْ تَقْصُرِ الأعلام مُدّا

وبعد فها هي ذي (معلقة الكاظمي) برمتها أتينا بها هنا إحياءاً لذكرى أديب عربي مسلم ، ولشاعر عبقري فريد ، يكاد ينسى بيانه المزدهر الخالد :

سيروا بنا عنقاً وشدا سيروا بنا ممسى ومغدى
سيروا فرادي أو ثُنى والجمع للغايات أجدى
لا يقعدنّ بعزمنا يومٌ يرينا الهزل جدا
ولئن تخلف من تخلف واستحال القرب بعدا
فالسيف يقطع في يديْ بطلٍ وان تكل الفرندا
ما خاف يوماً أن يهي من أحكم الأهواء شدا
فلربما جاء المريب وليس يدري جاء إدّا
ولرب رأي ذي سدا دعارض الرأي الأسدا
من ذا رأي الحدّ المذر ب أبطل الحد الأحدا

* * *

لتسر وفودكم الى تلك الربي وفد فوفدا
ليرى الورى أي الورى أهدى الورى وأضل قصدا
من لي بمن إن شاء أحيا عزمه أو شاء أردى
فرقى المنابر ، واعظاً أو أن يعود الغيُّ رشدا
من رام إدراك المرا م سعى بلا ملل وجدا
من لم يعز بوطن حر يكن للذل عبدا

* * *

سيروا إلى الوطن الموقى بالنقائب والمفدى

سيروا إلى من سار ذكر — جماله في الكون نـدّا
سيروا إلى ذي طلعـة — كالنجم للساري وأهدى
سيروا إلى ذي راحـة — كالسحب لا بل تلك أندى
يا حبذا وطن أعـاد الفضل في الدنيا وأبـدى
يا حبذا وطن يُغَنّى — باسمه أبـدا ويُحْدى
وطن تقادم ذكره — عند المكارم واستجدا
وطن اذا نضب الروا — أولى عوارفه وأسدى
هو موطن القوم الأُلى — فضلوا الأنام أبا وجدا
حسب إلى قحطان مَتّ — وعدّ يعرف حين عـدا
وكفى بـه فخراً إذا — ما عد فهدا أو معـدّا
نحن الكرام السابقو — ن إلى العلى قبلا وبعدا
من شامنا شامَ الحياة وشام بَرْقَ رَدىً ورَعْدا
لمـا تزل عزماتنـا — قداحـة زندا فزندا
من بات مرمى للحوا — دث صير العزمات سردا

* * *

سيروا الى وصل الذي — يشكو من الأهلين صدا
وبرغم كل هدايـة — أضفى الضلالُ عليه بُردا
وأخافُ إن وقف العلا — ج مشى إلى الباقي فأعدى

* * *

سيروا نَذُبّ عن الحمى — ونَرُدّ عنـه المستبدا
نحمي حمى أوطاننـا — ونصونها غوراً ونجـدا
ونرد عنهـا من عـدا — ظلماً عليهـا أو تعدى

سيروا نؤلف شملهـــا ونعيدها عقـــداً فمقدا
إن كان حرب فابتنوا لي في بطون الطير لحدا
أو كان ســـلم فاجعلوا ذاك الثرى عيناً وخدا
تالله لا أرضى الحيـــا ة أرى لديها الخسف وردا
أيروق لي عيش أرى فيه الكريم الحر عبدا ؟
وإذا نظرت إلى الهوا ن رأيت طعم الموت شهدا
إن لم تكن تجدي الحيا ة بعزها فالموت أجدى

* * *

أنا لم أكُنْ للمجـد إن لم أبتن للمجد مجـــدا
من شاقه وصل الحبيب قضى ليالي الهجر سهدا
نفسي وما ملكت يدي لك يا حبيب النفس تُهدى
من يفتدي أوطانه لم يود إنّما قيل أودى
الذكر أبقاه الذي كانت له الاوطان خلدا
لا تحسبوا أوطاننـــا هندا نَحِنُّ لها ودعدا
هي نور اعيننا التي أبدا نُراح بهـا ونُغدى
أوطاننا أرْوَاحـــنا بل إنها بالروح تُفدى
أو يستعاض بندها من ذا رأى للروح ندا
أبدا نطالب بالحقو ق حقوقنا أو نستردا
أبداً نجاهد دونها ونكافح الخصم الألدا
ونصد عنها من نوى أوهم يوماً أو تصدى
أخذ الأمانَ من الزما ن من تأهب أو أعدا
فلكم ليال قد تجلت ثم عادت بعد رُبْدا

سلني أُجبك عن الزمان وقد تُحدى من تُحدى
إني خبرت الدهر سبطا جـــاء بالحسنى وجعدا
وفَلَيْتُ تاريخ الورى ونقدتُ هذا الخلق نقدا
ورأيت ذا كرم يرو قك فعله ورأيت وغدا
ولقيتُ عيشـــاً أنكداً من بعد ما لاقيتُ رغدا
لم يسترح من بعدُ الا من يكن من قبل كدا

* * *

سيروا نُشِدْ لديارنـــا عَدْلاً يهد الظلم هـــدا
ما كل من ساس الا نـا م قضى فريضتها وأدى
شتـــان من ساس الورى عـدلاً ومن بهم استبدا
ولرب يوم خطبــــه عم الورى عكساً وطردا
أرأيتم كيف انبرى الضار ري وكيف قضى وحدا
صقـل النيوب وقال كو نوا في نشوب الخطب دردا

* * *

يا قلب كن حجراً اذا مـــا قلبوه كان صلدا
من لان للخطب الشـــد يد تَوَقّعَ الخطب الأشدا
يا قلب لا تجزع فقـد بلغ المنى من كان جَـلدا
لا يأخـــذ الحدثان من كان في الحـــدثان فِنْدا

* * *

بالله يا وطـــني أجب ما بال قلبك ليس يهدا ؟
كلٌ يبلُ غليـــله مما رجـاه وأنت تصدا

يرضيك تصبح للخراب ... وكنت للعمران مهدا
يا أيها الوطن الذي ... نادى بنيه واستعدا
وأسر ناراً كلما ... قيل اخمدي تزداد وقدا
ورمى بكلتا مقلتيه ... ولم يجد من ذاك بُدّا
يدعو كهولهم كما ... يدعوهمُ شيباً ومردا
لك من بنيك النجـ ... ـب كل غضنفر وفتى وفدى
روّح فؤادك واسترح ... فبنوك لا يألون جهدا
ستراهم كالبيض منتضا ... ة تقدّ الهام قدا
ستراهم كالأسد ، وا ... ثبة ترد الخطب ردا
يكفيك ابناء اذا ... عاينتهم عاينت أسدا
ركبوا الدجى جملا كما ... ركبوا الصباح أقب نهدا
قوم كآساد الشرى ... سميتهم في الروع جندا
قوم فضائلهم كنجم الأ ... فق لا تحصيه عدا

* * *

سيروا قواصد للمنى ... أو تبلغ الأوطانُ قصدا
وترى البلادُ جميعها ... علماً طويل الظل فردا
يا حبذا العلمُ الذي ... إن تقصر الأعلام مُدّا
خلوا هنيئاً خلفكم ... واستقبلوا من كان سعدا
واذا بدأتم فاختموا ... تنهى المسائل حيث تبدى
خيرُ المعادِ معادُ من ... للخير أصبح خير مبدا

* * *

وهناك (دالية) اخرى نحت هذا المنحى ، او نحا بها الكاظمي هذا المنحى نفسه ، وهي من الشعر المرقص الأخاذ .. بأجراسه العِذاب ، ونغماته الموسيقية الحلوة الجذابة .. ولقد اختار الكاظمي لبعض وطنياته اللامعة هــذا البحر الخفيف الوجيز التفاعيل ، ليكون اسرع الى الحفظ والى الادراك وإلى الامتثال والاستحضار والتلقي والوعي :

هي المنى فاحتشدوا ... على الحياض وردوا
رب جَوّى أحَرُّه ... أصبح وهـو أبْرَدُ

* * *

مضت قرون جمة ... العيش فيها أنكد
ورب عيش أنكدٍ ... تلاه عيش أرغد

ومن دأب الكاظمي أن يقتبس من آي الذكر الحكيم فنراه كلما عرض شريطاً أسود عـلى قرائه العرب ، من حاضرهم المــؤلم المظلم اذ ذاك أعقبه بشريط أخضر ناضر يحيي آمالهم وينعش أحلامهم ..

وها هوذا يقول لقومه منذراً ومحمساً :

أن لم يكن عيش حميــد ... فالحِمَامُ أحمــد

* * *

وانما العزم يقي ... ما لا يقيه الزرد
لا يستوى المشبحُ في ... جَنْيِ العلاوالقُعْدُدُ
لا تأمنوا الدهر ولا ... يرعكمو من حقدوا
خذوا الحذار وذرو ... همأبرقوا أو أرعدوا

وكيف يغدو آمناً من مجده مهـــدد

* * *

وبعد هذه (التوجيهات الصادحة الصادقة) يعود الى الامة العربية فينعي عليها تواكلها عن استجابة نداء النهوض الذي بح به صوته المدوي :

دعوتُ غـير واحـد فلم يجبني أحـدُ
وقلتُ غـــير مرة فقيل لي : قد بَعَدُوا
كم فرصة مرت لنـا ونحن عنهـــا هُجَّدُ
وكم هتفتُ موقظاً فما صغى من رقدوا
يا أيهـا العرب وأد عو العرب أنّى وُجِدُوا
ألستمو مَن حُرموا حقوقهم واضطهـدوا ؟
وكلمـا عَنَّ لهم ذكر الحمى تنهّدوا ؟
أمـا كفاكم حافزاً ذكر الذين استشهدوا ؟

وحينما يمعن في التفكير في حالة الأمة العربية يصيح من أعماقه :

أخاف يا صبح المنى يغشاك ليل أربد

ولكنه يعلو عن الواقع المر الذي يتخيله رابضاً في طريق تقدم العرب ونهوضهم .. ويمتطي خيال الشاعر المجنح الخفاق فيعود ليضرب على قيثارة ذكريات مجد العرب الإسلامي الخالد ... انه الوتر الحساس الذي ينعش الآمال ويقوي العزائم ...

في كل دار أثر بذكرنا مخـلد
في كل أرض منهج يهدينا معبـد

مِنْ حسنات لم تكُن   تُحصى ولا تُعـددُ
ومن مزايا تنفد الد   نيا وليست تنفد
فضائل في الصالحا   ت عقدها يُنَضَّـدُ

ويختتم قصيدته العصماء بنثر باقات أمانيه بأن يعود للعرب بعد الحرب العالمية الأولى عيشهم الأرغد ، ومجدهم السرمد .. يقول :

يا حبذا لو عاد بالبشر القريب العُوَّدُ
نروح في ديارنا   والعيش عيش أرغد
ونفتدي أوطاننـا   والعز عزٌ سرمد

الكاظمي والدين الإسلامي

الدارس لشعر الكاظمي من كثب يجـــد في بعضه ذكر الدين الاسلامي والتأسي به اذا كان الشعر في عالم ديني أو زعيم ديني ، وإذا كان الشعر في غير هذين فإن شعر الكاظمي حينئذ يخلو من ذكر الدين ، والتأسي به . ويمكن أن يُفهم من هذا أن روح الدين الإسلامي في شخص الكاظمي نفسه وان كانت موجودة بسبب صلته في فجر شبابه بالشيخ جمال الدين الأفغاني وبسبب التزامه بتوجيهاته فانهـا لم تصل من القوة والعمق الى المكان الذي تغطي مساحة تفكيره كله دائماً .. توجد فجوات لغير التمسك بالدين الاسلامي في شعره الذي بين أيدينا .. وآية ذلك واضحة في قوله في جمعية الرابطة الشرقية المؤلفة بمصر إذ ذاك :

رأت رسول التآخي خير واسطة ومن أتى بالتساوي خير من شفعا
لا الدين فيهـا بمرموق تعصبه ولا السياسة لاقت عندها نجعا

وقوله في رثاء سعد زغلول :

سيان كان الدين نصرانية في نصرة الأوطان أو إسلاما
إنا اتخـذنا ديننـا استقلالنا ولقد عبدنا الله لا الأصناما

ويبدو لي ان ريح مسايرة العصر المُتَحَلـِّل ،هي التي هبت على شيطان شعره

حينما نظم هذين البيتين المنحرفين ، لئلا يُنبذ بالجمود على الأقل ، وليُسلك في عقد الشعراء المجددين .

وهذا أثر خفي من طبعات أصابع الاستعمار الثقافي الذي ران على الشرق الإسلامي ، وأناخ عليه بكلكله اذا ذاك ، فكم باسم الحرية تُنتهك حرمات الحرية ، وكم باسم التجدد والتجديد تُنتهك مبادىء الاسلام الخالد !

إن للاستعمار «مُخدّرات» متنوعة ينفثها في رُوع الكتاب والشعراء وغيرهم فاذا هم من حيث لا يشعرون أبواق خفية للاستعمار نفسه الذي جردوا أقلامهم لحربه وللقضاء عليه ...

على أن هناك أبياتاً للكاظمي ضمن قصائده تدل على تقديره لتعاليم الإسلام ، فإن له مرثية أخرى في سعد زغلول يقول فيها :

وستذكر الأجيـال صنـ ـعك في الورى جيلاً فجيلا
من أفضل الأجرَين في الدا رَين من أخرى وأولى

وفي مرثيته لملك حفني ناصف : (باحثة البادية) شيء من هذا أيضاً :

بما أخذ الشرع أخّاذَةٌ بما جـاء آمرة ناهيه

وفي مديحيته لمحمد عبده شيء من هذا أيضاً :

وابق للدين جامعاً كل شمل آل بعد ائتلافه باتفـاق

وفي مديحيته للملك حسين بن علي شيء من هذا أيضاً :

وإذا تكدست الخطوب وجلجلت أمروا العتاق القُـبَّ أن تتكدسا
إما إلى الفردوس أو لذرى العلا سَوّى كتائبنَا البشيرُ وكردسا

إن كانت الأولى فأجرٌ يقتنى أو كانت الأخرى ففخر يكتسى
ونجا بك البيت الحرامُ وللورى أمل بأن تنجي ظُباك المقدسا

* * *

ويقول في محمد عبده :

يا حماة الإسلام هل من أغر قام يحمي الشريعة الغراء
هادراً من شقاشق القوم لا يفتر عنها أو يخزم [1] الخصباء

ينتضي مضرب اللسان فيغدو لَسِنُ القوم دونه فأفاء
يرفع المسلمين والدين عما كان دين الإسلام منه براء
غير مفتي الأنام من يمّنَ اليُمْنَ سناه وأسعد الإفتاء

ويقول حينما اشتد به السقم في بعض الأوقات :

يا زارع السقم بجسمي أما آن لهذا الزرع أن يحصدا
إن لم تجب عبدك فيما دعا قل لي إذن: من ذا يجيب النداء؟

وله مديحيات في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . يقول في إحداهن :

صلى عليه الإلـه من قمر ينير للحشر كل ظلماء

(١) خزم البعير : جعل في منخره الخزامة .

مُناقشة هادئة

وما دمنا قد وفينا شاعرية الكاظمي بعض حقها في التحليل والعرض مما أمكننا أن نقوم به في دراستنا هذه العابرة لما هو بين أيدينا من شعر هذا الشاعر العربي المُفْلِقِ فإنّ لنا – الآن – أن نتقدم إلى القراء ببعض المآخذ التي مرت بنا اثناء استعراض قصائده ومقطوعاته .. وكل إنسان – ما عدا الأنبياء – معرض للخطأ والغلط . واللغة العربية بحر واسع وعميق ولا توجد لغة عالمية لا يخطيء فيها القدير فيها ، ولا يوجد إنسان – غير المعصومين – مبرأ من الخطأ في أية لغة حية ..

على أن للنساخ وللمطابع يداً في كثير من الأغلاط .. وهذه الاغلاط تذيع وتشيع فينسبها القراء والناقدون إلى الكاتب أو إلى الشاعر وهما بُراء منها ، ولكن من هو الذي يوقفنا على أن الشاعر أو الكاتب لم يكتب أولم ينظم هذا الغلط أو هذه الأغلاط ، بعد ما سارت بها الركبان ، حتى الكاتب أو الشاعر أنفسهما ربما يريان هذه الأغلاط النسخية أو المطبعية فيغلطان في الإبقاء عليها إما سهواً أو عمداً . وهناك أغلاط فنية ولُغَوية سنتعرض لها أيضاً في هذه المناقشات الهادئة .

يقول الكاظمي في قصيدة له بعنوان : (أبداً تروح رهينة)

وهي موجهة منه (إلى صديقه الأعز الاستاذ الإمـام الشيخ محمد عبده رحمه الله) يقول :

تلك الجزيرة فالتفت في تربها — هل تلق مـن أثر لغير مخلد
واضرب بفكرك في الأنام فهل تجد — فيها كفرعي زاكياً أو محتدى

ومن رأيي أن صيغة (فالتفت في تربها) ركيكة ، وربما كان الشاعر وقتها مرتجلاً وعجلاً .. وذلك أن الصيغة من أصلها ركيكة في هذا المعنى المقصود بالذات وزادها حرف (في) ركاكة وخسة ..

وقوله : (هل تلق) بحذف حرف العلة .. إنه فعل مجزوم هنا بغير جازم .. وكذلك قوله : (فهل تجد) هو مجزوم بغير جازم . وكان سهلاً عليه ان يضع بدل (فهل تجد) — صيغة : (فهل ترى) فيكون قد ربح الصحة اللفظية والمعنوية وسلم من الغلط النحوي .. ولكنه الارتجال ..

ويقول :

دم دوام الدهر وابق لنا — عمر الأزمان والحقب
رافلاً والأنس مقتبل — في جلابيب الهنا القشب

ومحل المناقشة يَنْصَبُّ من ناحية أولى على صيغتي : (الأزمان والحقب) المجموعتين في شطرة واحدة . إن الأزمان هي الحقب .. ولم يأت الشاعر بالحقب بعد الأزمان إلا لتكملة الوزن وإلا فلا جديد فيها بالنسبة للأزمان التي سبقتها في الميلاد مباشرة فهما شيء واحد ..

كما تَنْصَبُّ المناقشة من ناحية أخرى على قوله : (في جلابيب الهنا) فإن صيغة «جلابيب الهنا» نابية وغير شاعرية ولا محل لها هنا بالنسبة للهناء، اللهم إلا أن يكون

الشيخ محمد المازندراني المقيم بحيدرآباددكن من الهند ، مصريّ الأصل ، محافظاً على استعمال الجلابيب في العيد في الهند ... والقصيدة مدح له وكان الشاعر قد أرسلها اليه وهو – أي الشاعر – بمدينة لاهور والمازندراني في حيدر آباد دكن ... فأية مفارقة هذه ؟ وأي دخل للجلابيب ؟ وأية جاذبية أو مزية شعرية في هذه الصيغة في هذا المكان بالذات ؟

ويقول في ختام معلقته التي (كتبها إلى صديقه الحميم الشاعر الكبير محمود باشا سامي البارودي وهي من غرر الشعر) – يقول :

ما اخترت إلا ان تدوم منعما   لو قيل ماذا تشتهي وتريد ؟

هذا المعنى مبتذل وعاديّ ، ولا شيء فيه من الشاعرية أو التجديد أو الأهمية بالنسبة للشاعر الكبير الممدوح ، وللشاعر الكبير المادح ، فكل انسان إذا سُئِل عما يريد وإذا خُيِّر فيما يشتهي يختـار أن يدوم منعماً . يضاف إلى ذلك تكرار المعنى لأجل الوزن والقافية في : (تشتهي) و (تريد) .

ويقول :

اسألوها واستخبروا فعساها   تستطيع الجواب والإختبارا

وقد قطع همزة (الاختبار) وهي موصولة . والا فسيكون في البيت زحاف خفيف .

ويقول :

ورَؤُا الحق لا يلين لبطل   فأروه الأنيـاب والأظفارا

ومحل المناقشة في هذا البيت هو قوله : (ورَؤُا) بضم الهمزة بعـد

الراء المفتوحة .. لأن صحة ذلك نحويّاً هي (رَأَوْا) بفتح الهمزة وسكون الواو وبعدها ، سكوناً حيّاً ، وإذا نطقنا بهذا السكون الحيّ انكسر وزن البيت لا محالة ..

ومثل ذلك قوله :

ولدن رَوُا العقبات ماثلة نكصوا على الأعقاب وانهزموا

ويقول :

أعرقوا في العلا وطابوا فروعا اذ زكوا محتداً ونجارا

إذا لم يكن هنا بَتْرٌ مطبعيٌّ في الشطرة الثانية من البيت وإذا لم يكن أصلها مثلاً : (اذ زكوا محتداً وطابوا نجارا) .. فإن وزن هذه الشطرة ناقص .. وأغلب الظن أن هذا النقص آتٍ من الناسخ أو الطابع أو من سهو الشاعر نفسه حين كتابته للبيت والا فنحن نربأ بشاعر كبير مُفْلِقٍ أن تخفى عليه هذه البَدَهِيَّةُ الشعرية ..

* * *

هذا وحينما كتبتُ قبل نحو ثلاثين عاماً أقصوصة بعنوان : (مرهم التناسي) قامت قيامة بعضهم وعد هذا خطأ فاحشاً .. وهذا شاعرنا الكبير عبد المحسن الكاظمي يستعمل شبه هذا المعنى ذاته فيقول :

وعليها أدِرْ كؤُوساً من السلـ وان تُنْسِي المعُاقِرَ الجريالا

والضمير في (عليها) يعود إلى تلك الفئة (المتعطشة لأدب سليم

سركيس) فللقصيدة تعنيه ، وقد قالها الشاعر في مناسبة لطيفة هي انصراف سليم سركيس عن ارتداء اللباس الإفرنجي إلى ارتداء اللباس البلدي : الجبة والقفطان ، لما لاقى من عنت ورهق في ارتداء الزي الأول ، ولما لمس من راحة في لبس الزي الثاني ..

ومحل الملاحظة هنا في قوله (الجريالا) فقد وردت في الديوان المطبوع (الجربال) بالباء . ولا شك أنها من خطأ الطبع .. فلا ملاحظة حقيقية هنا وإنما أردنا لفت النظر لما أشرنا اليه حول صحة عبارة (مرهم التناسي) وجمالها وفنيتها .. بالمناسبة ..

ويقول :

تلك الجزيرة فالتفت في تربها   هل تلقَ من أثر لغيري مخلد

ولا محل هنا لجزم (تلقى) إذ لا جازم لها . وإنما هي ضرورة الشعر . وصيغة « مخلد » يبدو لي أنها ليست في محلها ، لأنها هنا اسم مفعول من (أخلد) أي مال ولازم ، لا من (خلـد) الثلاثي ولا من (خلّـد) الرباعي.

ويقول :

ألا خالفوا أسرى التقاليد واطلقوا   قرائحكم واستخلصوا ما يوافق

ومحل المناقشة هنا في قوله : (وَاْطلِقُوا).. فقد وصل الهمزة المقطوعة لضرورة الشعر الملزمة لذلك مع أنها مقطوعة : ولها نظائر أخرى في شعره . وقد كرر هذا الصنع في هذه الصيغة : (اطلقوا) بالذات حين قال من قصيدة أخرى أرسلها لأسعد داغر :

واغتنم الفرصة ما أمكنت (وَأطلِق) سراح البطل العاني

ويستعمل الشاعر الكاظمي دواماً صيغة : (دَوَى) مخففة الواو فيقول :

إذا هو صوت الحق يعلو فقائل أصوت سلانيك دوى أم صواعق ؟

ويقول من قصيدة أخرى :

وصدى فظائعه دَوَى في المشرقين فأسمعا

ومعروف أن الصحة هي (دَوَّى) بتشديد الواو ..

ويقول :

سيرى ويسمع من طغى طغيانه مهما تَصَامَمَ في الورى وتعامى

والصواب في (تصامم) ادغام الميمين أي (تصامَّ) وموجب الفك هنا هو الضرورة الشعرية أولا ، والارتجال أخيراً وأولاً ..

* * *

هذا ولا يخلو شعر الكاظمي من مبالغات وإغراق فظيع في المديح :

يقول من قصيدة له إلى الشيخ محمد عبده :

من مزايا وَهِبتَهَا وسجايا وهب الله مثلهـا الأنبياء

ومن إغراقاته الممجوجة قوله :

هـذا يتـوج بالحضيـض وذاك ينتعـل السماء

ومن مفارقاته المستهجنة قوله :

(اني خبرت النيّرَيْ ن ِ فكنت أنفع منهما)

وكان يخاطب بهذا حسين رضا ..

وأما صيغة (يسلاك) الواردة في الصفحة ٣١٠ من (المجموعة الثانية) فهي بلا ريب خطأ مطبعي صحته (يسلوك) لأنها من السلوان .

يقول الكاظمي :

ان الذي يسلوك كان على التسلي مرغما

ونجزم بأن صيغة (يسلاك) الغلط الموضوعة بدلاً من (يسلوك) الصحيحة هي كما قلنا تطبيع لأن الشاعر في الصفحة ٣١٦ وفي قصيدة أخرى يقول :

أقسمت لا أسلو الإ مام وذاك جهد المقسم

ويقول :

وكم رمت إصلاحاً لإفساد دهرنا وهل كيف إصلاح ودهرك فاسد ؟

والمناقشة هنا في خطأ « مَعْنَوِيٍّ » و « لفظيّ » .. فأما المعنويُّ فلأنه صرح في الشطر الأول من هذا البيت بأنه قد رام كثيراً اصلاح وفساد الدهر .. وفي الشطر الثاني ينكر أن يكون منه الاصلاح لأن الدهر فاسد . وكيف يكون الاصلاح الا للفاسد ؟

أما المناقشة اللفظية فمحلها ادخال حرف استفهام على آخر في قوله : (وهل كيف اصلاح ودهرك فاسد ؟) .

وبعد فهذه أمور جزئية بالنسبة لهذا الخِضَمّ الهدار ، وهذا العَيْلَمِ المحيط . واننا لنرجو أن نكون قد قمنا بشيء من خدمة الأدب العربي المعاصر واحياء بعض ما يكاد يُنسى من آثاره القيمة ، بدراستنا هذه المتواضعة العابرة لحياة أحد أعلام الشعر العربي الحديث وشاعريته الثرة المتدفقة . والله ولي التوفيق .

مراجع الكتاب

ديوان الكاظمي (المجموعة الاولى والثانية)
ديوان محمد حافظ ابراهيم — الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م .
مجموعة قصائد الكاظمي المطبوعة في مصر سنة ١٩١٩ م
الاسماء والتواقيع المستعارة في الأدب العربي — للدكتور محسن جمال الدين
مجلة الكتاب البغدادية (الجزء الصادر لسنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م)
الحديقة — لمحب الدين الخطيب — الجزء الأول
ديوان احمد شوقي
ديوان الزهاوي
ديوان محمد حافظ ابراهيم — الطبقة الثانية
ديوان فؤاد الخطيب
ديوان الزهاوي
ديوان الرصافي
ديوان الشريف العقيلي ومقدمته للدكتور زكي المحاسني
ديوان المتنبي
المنار والازهر — لرشيد رضا
الأعلام — لخير الدين الزركلي
فارس الخوري وايام لا تنسى — لمحمد الفرحاني
ايران في عهد الدولة القاجارية — لعلي اصغر شميم — ترجمة الدكتور احمد خالد البدلي — المنشورة تباعاً في مجلة المنهل (عدد ذي القعدة ١٣٨٨ هـ خاصة .
القاموس المحيط للفيروزآبادي



فهرست